

# كيف الوصول إلى رضاك يا رب

فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك

الملكة التوفيقية

للمهاترين الأضر - ميلنا الحسن

تأليف  
عبد الحميد كشك

بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم صلاة وتسلية يليق بمقام أمير  
الأنبياء وإمام المرسلين . وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين . وأشهد أن  
سيدنا ونبينا وعظيمنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين . صل اللهم  
وسلم وبارك على هذا النبي الأمين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين وارحم  
اللهم مثايخنا ووالدينا وأموالنا وأموال المسلمين أجمعين .

أما بعد ...

فهذا كتاب قد اشتمل على لعانته متنوعة تأخذ بأيدي السالكين إلى النجاة  
وتنقلهم من كثافة المادة إلى لطافة الروح . فالتحفة مطلب عزيز المآل ،  
قوى الهدف رفيع الشأن . فما أجمل أن يسأل الصحابي الجليل ، عقبة بن  
عامر ، وما أعظم أن يجيب مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية  
في بلاغة موجزة وإيجاز بليغ . قال : عقبة .

ما النجاة يا رسول الله ؟ قال : « امسك عليك لسانك . ولبسك بهيئتك .  
وايك على خطيئتك » : نعم ما أعظم أن يشخص الرسول الكريم ﷺ الداء  
وما أروع إذا وصف الدواء .

فالنجاة كلمات ثلاث ، لكنها في سموها لو صعدت إلى السماء لكانت قمرا  
منيرا : وفي جمالها لو هبطت إلى الأرض لكستها سكتسا وحريرا : وفي  
جلالها لو مزجت بماء البحار لجمته عذبا فرانا سلببلا . إنها تنقل بالإنسان  
من صلصال من حمأ مسنون إلى نور يتنسم فيه الروحانيات الصافية : فيسلك  
إلى معارج القدس ليقف على حقائق الأسرار ودقائق الأخبار حيث يقف في  
مقعد صدق عند مليك مقتدر . « فاستبشروا الخيرات وسارعوا إلى مغفرة

من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴿

[آل عمران: ١٣٣]

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [توبة: ١٠٥] .

﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾

[يوسف: ٢١]

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم . .

فضيلة الشيخ / عبد الحميد كشك

## طريق النجاة

إلى الذين يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ، وإلى الذين ينشدون ربهم - سبحانه وتعالى - لينالوا السعادة في الدارين . إلى : ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يلبيون الصلاة وما رزقاهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ [الأنفال: ٧٤] .

أخي المسلم :

إن تاريخ الأمة الإسلامية مع اليهود والصهيونية حافل بالمخاطر ، من بالأحداث الجسام ، مفروش بالأشواك ، أحاطت بجانبه الأحرار التي آوت إليه العقارب والحيات ، إذا سلم السائر فيه من نهشة الثعالب ، فقد لاسم لدغة العقرب : إنه تاريخ يضرب بجذوره في باطن الأرض حيث عداة اليهود والصهيونية أسافر به سلام الحنيف منذ فجره . فاليهود هم الذين وقفوا للدعوة بكيدون لها بطريق الدس والفتنة ، ويوم انتصر المسلمون في غزوة بدر هاجت عقارب البغضاء في صدورهم وتحركت ثعابين الحقد في نفوسهم ، وأرسلوا وفداً منهم رسول الله - ﷺ - ليقللوا : يا محمد ! لا يغرنك إن كنت قد انتصرت على أهل مكة ، فإنهم لا يتفنون فوق القتال ، وأما إنك من تنكب عن طريق الجادة ، ويعد يده إلى كل عائر حائر من لحج البحار المتلاطمة . وإذا كانت الصهيونية تنجح ، ونصرح ولا تنواري ، ونفس أنها قامت على التوراة . فأولى بأهل الحق أن يقولوا لهم بدون مواربة : إنهم قاموا على القرآن ، والقرآن حق ! رجل جلال الحق إذ يقول في الحديث القدسي : « أنا عبد ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني : فإن ذكرني في نفسي ، ذكرته في نفسي . وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعها تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » . فاللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه الغر الميامين .

## القرآن العظيم وأثره في النصر

لما كان أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، كان لزماً على كل من يدعو إلى الله على بصيرة أن يتخذ من القرآن روحاً تحيي في الأجساد موتاتها . ونورا يمدد في كائنات ظلماتها ، ففي القرآن روح الحياة ، ونور الهداية ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا هدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض . ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ [ الشورى : ٥٢ - ٥٣ ] .

والقرآن العظيم كتاب الإسلام الخالد الذي لا يلى جده ، ولا تنفنى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة تلاوته : يقول الله تعالى في هذا الكتاب العزيز : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ [ النور : ٣٥ ] ، ويقول عنه أنبأ : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾ [ التباين : ٨ ] . ويقول عن رسوله العظيم : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ .

فأقبل بالحق هذا الظام الفريد ، وهذا العند الرباني المميز ! الله نور ، والقرآن نور والرسول نور ، والوظيفة التي نزل الكتاب وبعث أمر الأنبياء هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور : ﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [ إبراهيم : ١ ] .. فهذه الأمة المنورة بها هذا الشرف العظيم ، المنزل عليها هذا الكتاب الكريم ، واجب عليها أن تعيش في هذا النور لتأخذ مكانتها فوق قمة الفلك لا بالذخ العلباء ولا بلبق بها أن تهجد عنه أو تصغر حدها له ، فتتحد إلى قلوب الدجى وغياهب الظلمات وحضيض الغبراء وتحيط عشواء في ليلة ظلماء .

يقول سيد الخلق وحبيب الحق : « كفى بقوم ضلالة أن يروغوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم » ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أولئك يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ [ العنكبوت : ٥١ ] .

إنني أخط هذه السطور والذكريات الجيدة تتزاح أمامي في مركبها المقدسة يوم وحد القرآن هذه الأمة ، وجمع شملها ، وقوى بنيانها ، وأزال ما بها من شقاق ، ووفد بها على أركان المودة والوفاق : يوم كان المسلم يتقى في أسفاره في بلاد تترقب عليه راية التوحيد ، ويوم موت مكة ذراعها إحداهما إلى قرصة ، والأخرى إلى دخی ، ويوم كان القرآن قد أزال الخواجز والموانع والمواصل ، كان المسلم في تجواله وترحاله وهبوطه وصعوده من أقصى بلاد الإسلامية إلى أقصاها ، . يمكن يستوفقه شرعى بفضل منه حوار المرور أو ناشيرة الدخول والخروج ، لأن هذه الأرض التي كان يسير عليها أرض أشرف فيها نور التوحيد ، وارتفع عليها لواؤه ، ورفعت فوقها رايته .

الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لوائها أكفساء

وإن يحرس اليوم أن أرى الفرة ضاربة أظفار بين شعوب الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، في الوقت الذي تسع فيه هذا التصريح الخطير لأحد المسؤولين في إسرائيل والذي يقول فيه : إن لاسرائيل مطالب اقلية ودينية في أجرة من الأرض التي احتلتها لأن إسرائيل قامت على ثلاثة مقومات :

١ - النورية ، ٢ - الشعب اليهودي ، ٣ - أرض الميعاد

فهل آت الأوان للأمة الإسلامية أن تخلص عن نفسها عوامل الضعف والفرقة ، وتنه عن ما يحيط بها من الخطوب المدممة ، والمحن القاسية القاتلة الداعية ؟!

أما آت الأمة القرآن أن تكره هذا الكتاب وتستضيه به ؟ وإذ نحن نقينا في بطون التاريخ واستقرأ صفحاته . لرأينا أن هذا الكتاب بكرم كان القوة التي تأخذ به المسلمين في جميع الميادين ، وتدفع بهم إلى النصر المزمع ، نعم : لقد شكروا بما جاء فيه ولزموه ورثوا آياته وعملوا بها ، فكانوا في سلمهم وحرهم صادقين مع كتاب الله . كانوا في سلمهم قرآنا يمشي بين الناس ، غزا القرآن قلوبهم بنوره ، وأضاء بيوهم بكواكبه الدرية ، حتى كان المسلم إذا دخل بيته سأله زوجته : كم نزل اليوم من القرآن ؟ وكم حفظت من حديث رسول الله ﷺ ؟!

سؤالان تبادر بهما الزوجة عندما تفتح الباب لزوحها حتى لا يفتوها شرف الوقوف على ما نزل من نور السماء ، ليتصل بأرض الصحراء ، فينبت فيها وبشعر ، ثم تفرق ذلك بالسؤال عما جاء على لسان البشر المذير عند ﷺ من الهدى ، فقد علمهم

أستاذ الإنسانية الأكبر أن ينقلوا ما جاء عنه كما سمعوه منه ، ودعا لهم بالنصرة حيث يقول : نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ، ثم أداها كما سمعها ، فرب حامل فقه ليس بفقيه .

كان المسلمون في حريمهم - كما وصفهم قادمهم - فرسانا بالنهار ، رهبانا بالليل ، هم دوى كدوى النحل . فكانت قوة الكتاب في صدورهم تبعث الرعب في قلوب أعدائهم ، وكان نور القرآن في أفئدتهم يضيء هذه الطريق إلى مكائن الأعداء . فيسكنهم من رقايبهم . حتى لقد وقف هرقل في مدينة أنطاكية أكبر مدن الإقليم الشرق في الإمبراطورية الرومانية - وقف يلقى هذا السؤال الحائر على ألسنة كبار قياده جيشه يلتصق منهم الجواب الشافي ، بعد ما فرغ صرره ، وغلا مرجل الغيظ في قلبه . ثم الفجر قائلا لقواد جيشه : من هؤلاء الذين يخاربونكم ؟ أبشر أم ملائكة ؟ ويخبر القمصت الرهيب عن قادة الرومان ، فيطلب منهم الجواب بصراحة ، فيقوم أحدهم فيقول : إنهم بشر يأسدون ولكنهم يصومون النهار ويقومون الليل ، لا يشربون الخمر ، ولا يلعبون الميسر ، تحمل عليهم فيصبرون ، ويحملون علينا فيصدقون ، أما نحن فحملناهم فلا تصدق ، ويحملون علينا فلا نصر ! .

فتنفذ هذه الإجابة إلى جمع هرقل عظيم الروم ، وتتعلعل في نفسه ، فيرفع رأسه قائلا لقواده - والمرارة تملأ عليه أقطار وجدانه : نحن كانوا كما قلتم فلم يمكن موضع قدمي هاتين : ولقد كان ما قلته هرقل أبرأ واقعا : فتقد جاء اليوم الذي جعل به المسلمون من البحر الأحمر والبحر الأبيض خيبرتين صغيرتين تحريان في أرض الإسلام وترزرف عليهما راية القرآن ، فما السر في هذا ؟ لقد أعاد الله على نفسه وعدا - ووعد الله لا يخلف - ﴿ إنا لننصر رسلا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [ غافر : ٥١ ] . وأكد في كتابه هذا الوعد فقال : ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ [ نروم : ٤٧ ] . ثم بين كيفية هذا النصر وفصل لمن يكون ، فقال : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، وليصرون الله من ينصروه ، إن الله لقوى عزيز . الذين

إن مكانهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الأمور ﴾ [ الحج : ٤١ ] .

فوالله لو أكرمنا كتاب الله ما أهاننا أحد ، ولو أزمناه لفرقت راية التوحيد خفاقة على كل بلد ! بأمة الإسلام : إذا كان الكون قرآنا صامتا ، فإن القرآن كونه ناطقا فلتكونوا أنتم قرآنا يمشي بين الناس : يرشد الضال ، ويهدي .

لو نازلنا لعلمناك كيف تكون الحرب ! لعينهم بذلك كانوا يريدون أن يعنوا الحرب النفسية بسمومها لتفعل فعلها في صفوف المسلمين . ولكن ما لبث القرآن الكريم أن حسم الموقف بقرعة . وقصقه بعف ، فهذا إلهار نزل به سفير الأنبياء حبريل عليه السلام ، يرد القرآن به على أولاد الأفاعي : ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم . وبئس المهاد . قد كان لكم آية في اثنين القتاة فتقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة يروهم مثليهم رأى العين ، والله يزيد نصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ [ آل عمران : ١٦ ] .

إن ما فعله يهود بني قينقاع ، وما فعله هو القيص وهو قريظة من مؤامرات لا تخفى على أحد ، وما قام به عبد الله بن سبأ - اليهودي الذي نصح بالاسلام وقد كان رأس الفتنة التي اندلعت نارها بمقتل الخليفة الفترى عليه ، عذب ابن عفان رضى الله عنه ، وما جت الفتنة بعد مقتلته موج البحر تاكل الأخضر واليابس ، والذي أثارها وأشعل نارها هو ابن سبأ ، ذل الذي عشنش شيطان في رأسه . فباض الفتنة وورغ الشقاق والفرقة ، إنه من المنافقين على أمة الإسلام ويصدق به قول الحق جل وعلا : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا : اليهود والذين أشركوا ﴾ [ المائدة : ٨٢ ] .

ويحمد هذا العدا مع الأهم حيث تريد قوى الشر أن تطلق نور الله بأفئدتها . إن الحقائق تثبت ، والروائع تؤكد والتاريخ يشهد ، أن الصهيونية العالمية التي أقامت دولة إسرائيل في الشرق الإسلامي ، تريد أن تقف أمام الأمة الإسلامية شلعة السلاح في وجهها . فلقد صرح الصحفي الصهيوني اليسوي « هيرتزل » قديما بتصريح قال فيه : إن قيام دولة لليهود في سوريا أو فلسطين تكون امتدادا للحضارة الغربية ، وحصنا ضد الحمجية العربية ! .

إذا كان هذا التصريح قد مضى أكثر من نصف قرن ، فإنه بالعمل الدائب المستمر من جانب هذه القوى ، قد أصبح ما قاله « هيرتزل » أمراً واقعاً ، فقد قامت إسرائيل ، وقامت لليهود دولة .

ولست أنسى هذا الموقف لبعض قادة إسرائيل لما دخلوا بيت المقدس بعد الحرب الأخيرة في يونيو ١٩٦٧ حيث قال وهو في بيت المقدس : الآن نكون قد تأخرنا لأجسادنا في خير . وهذه الكلمة إنما تعرب عن نفس انطوت على الانتقام والثأر ، لا تعرف إلا سفك الدماء ، ولاتأنيب إلا بلغة المدفع : نفس لاتنسى الأحقاد ، ولا تتأنيب البغضاء . . .

ألا فلتعلم الأمة المسلمة أن عدوها ما كر وخبيت ، وغلبها أن تذكر قول النبي ﷺ : « إن جبريل أخبرني أن أمتي مختلفة ، قلت : فما المخرج ؟ قال : كتاب الله . وهل هناك ما يعصم الأمة من الاختلاف إلا أن تعمل بكتاب ربها ؟ » إنه لمصح عظيم من رسول الله ﷺ ، وتوجيه كريم يريد أن يقدمه لكل من أراد أن يذكر ويعتبر من كتاب الله هذا الداء الخالد : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولكن مكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك هم عذاب عظيم ﴾ [ آل عمران : ١٠٢ - ١٠٥ ] .

ألا فلتضع الأمة الإسلامية نصب عينها هذه النصيحة السوية الشريفة ، طريق السعادة الأبدية ، فإن الرسول صلى الله عليه وآله وصفه ربه بقوله : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ والذي سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن وصفه في التوراة قال : والله إنه لموصوف في التوراة بمعظم صفته في القرآن حيث قال الله عز وجل : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين . ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله . فيفتح بها أعينا عمياً ، وأذاناً صماً ، وقلوبها غلفاء . . .

هذا الرسول الذي ثبت له هذه الأوصاف لما سأل جبريل عن المخرج من اختلاف أمة قال له : كتاب الله : .

نفس لك الغداء يا رسول الله :

كيف تروى رفيك الأنبياء باسماء ما طاولها سماء  
م يدانوك في علاك ، وقد حال سناً منك دونه وسفاء  
إعنا مثلوا صفاتك للنا من كما مثل النجس والماء  
أنت مصباح كل فضل فما تصدر إلا عن ضوئك الأصواء

هو الأمل الذي بعث الأمل في قلوب المسلمين ، وأغدق على قديمه العالم الخاترة في خضم المحيط ومعتزك الأمواج ، إلى شاطئ الله رب العالمين ، إلى مكارم الأخلاق وحميد السجاء ورفع الشوائب فادى عن بشرية قاتلا : إن في الجنة عرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لمن طيب الكلام وأدام الصيام . وأطعم الطعام وصل بالليل والناس نيام . . .

فألهم أرباباً اتباع هدى كتابك الكريم وستة رسولك الحبيب حتى تنتصر عن عدائك أعداء الدين وتضع صراطك المستقيم فيه النجاة يوم الدين . وصلى الله وسلم على النبي وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه والتابعين .

## القانون الإلهي العادل

ليس شيء أعظم في هذا الوجود من اتباع هدى الله ، والسير حسب تعاليمه ، كما قال جل شأنه : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [ الأنعام : ١٥٣ ] .

ومصادر الهدى الإلهي قطعية الثبوت ، معصومة من الخفأ . وإذا كانت وسائل المعرفة مختلفة ، وطرقها متعددة : بعضها راجع إلى العقل ، وبعضها مبني على الحواس وبعضها طريقاً للوحي - فإن ما بُني على العقل والحواس لا يهتد العلم اليقيني ، أما ما كان طريقه للوحي فإنه يقيني قطعي .

ولقد نعى القرآن الكريم على الذين يتركون طريق الوحي متبعين غيره ، فقال : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا هُوَ بِهَيِّئِ الْآفَاقِ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾ [ النجم : ٢٣ ] . ويقول : ﴿ وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَكُنْ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ، فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّيَ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . ذَلِكَ مُلْغَمٌ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، إِنْ رِبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴾ [ النجم : ٣٠ ] .

وإذا كان من المسلمات المنطقية أن العدد إما زوج أو فرد ، ومن المسلمات الهندسية أن مجموع زوايا المثلث تساوي زاويتين قائمتين ، وأن الخط المستقيم أقرب صلة بين نقطتين ، فإن من مسلمات القرآن : هذا القانون الخالد . الأزلي الأبدى ، وهذه القضية العادلة التي حكم بها الله من يوم هبط آدم وحواء إلى هذا الكوكب وإلى يوم أن يرتفع الله الأرض ومن عليها : إن هذا القانون يوضحه هذا المشهد القرآني الحافل بالإنوار الجلال والمظلمة ، المبين للخط الذي وقف على أوله آدم أبو البشر ، والذي ينفذ على آخره الملك الموكل بالنفخ في الصور ، وإتته لخط ذو مواقف مختلفة ومراكز متنوعة ، وكأنه سلسلة متصلة الحلقات متشابهة الوقائع : يقول جل شأنه في شأن آدم : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى . قَالَ ابْتَغُوا مِنْهَا جُوعًا ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ . فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْهُ هُدًى . فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْغَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ

له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى . وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ مِنَ الْأَسْرَفِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ وَأَبْقَى ﴾ [ ص : ١٢٢ - ١٢٧ ] .

هذا قانون الله العادل الذي لا يختلف أبداً ، ولا يراه في صدقه ، وهذا حكم الله القادر ، ولا مغيب لحكمه ، قوله الحق وله الملك : ( فمن اتبع هدى فلا يضل ، ولا يفتنى ) ، وأين نعلم على هدى الله ؟ وكيف الوصول إلى هداه ؟ إن من أسئلة السائلين تجدونها قد أحاط عليهما القرآن إجابة صريحة واضحة :

في فاتحة الكتاب العزيز ندعو الله كل يوم سبع عشرة مرة على قدر في صلواته قائلي : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [ الفاتحة : ٦ ] وهذا أعظم سؤال . رفيع غاية ، فأين نجد الهداية إلى الصراط المستقيم ؟ إن القرآن يهيب على هذا في سورة البقرة ، التي تلي سورة الفاتحة فيقول : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتُ الْفُتُورِ ؟ ﴾ [ البقرة : ٢٠ ] ، فالمشور على هذه الهداية في هذا الكتاب ، والوصول إليه بالوقوف على حقائق هذا الحكم ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتُ الْفُتُورِ ؟ ﴾ [ البقرة : ٢٠ ] ، وحجباته تتجلى في قوله جل شأنه مبسوطة المظنر بأنهم ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [ البقرة : ٢ ] .

إن اتباع هدى الله يكون باتباع وحيه المنزل على رسله ، ووحى الله من على رسله المرسلون هو القرآن والسنة . قال ﷺ : « أوتيت القرآن ومثله معه » .

ولقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : يا رسول الله إنا نسمع من يهود أحداث تهمجنا ، أمكنب بعضها ؟ قال أستاذ الأساطير الأعظم : « أمتهركون أنهم كما تهركت اليهود والنصارى ؟ لقد جنتكم به بضاء نقيه . ولو كان أحى نوسى حيا ما وسعه إلا اتباعي » ! فأمل معي كيف كان اتباع الهدى باتباع شرع الله المنبثق في كتابه الكريم وهدى رسوله العظيم ، وإن في اتباع ذلك البعد عن الضلال والشقاوة : ثم ارجع البصر في قوله جل شأنه ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ وقارن بين موقفين مقارنة

## صحف إبراهيم عليه السلام

أعلى طريق النجاة نسجل ذلك الحديث الجامع من التوجيهات والنصائح :  
حيث وقف فيه أبو ذر موقف السائل المسترشد ، ووقف فيه المبحوث  
موقف المجيب المرشد ، وإنا نسوق هذا الحديث إلى ذوي الكربة  
فيه من ألوان الحلال والعظيمة .

ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : ما كانت صحف إبراهيم ؟  
أمثالاً كلها ، أيها الملك المسلط المبلى المغرور : إلى مُحتك لتجميع  
على بعض ، ولكني بعثك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها ،  
ن كافر . وعلى العاقل - ما لم يكن مغلوباً على عقله - أن يكون له  
اعة يهاجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها في  
ز وجل - ، وساعة يخلو فيها لحاجاته من الطعام والمشرب . وعلى العاقل  
عنا إلا للثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة في غير محرم  
ن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه . ومن حسب  
له ، قل كلامه إلا فيما يعنيه .. قلت يا رسول الله : ما كانت صحف  
السلام ؟ قال : كانت عبراً كلها : عجيبت لمن أيقن بالموت ، ثم  
عجيبت لمن أيقن بالنار ، ثم هو يضحك ! عجيبت لمن أيقن بالقدر ، ثم  
عجيبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ، ثم اطمأن إليها ! عجيبت لمن أيقن  
أثم لا يعمل .. قلت يا رسول الله أوصني ، قال : « أوصيك بتقوى  
الأمر كله » ... قلت يا رسول الله زدني ، قال : « عليك تلاوة القرآن .  
عز وجل - ، فإنه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء » ...  
ل الله زدني . قال : « إنك وكثرة الضحك ، فإنه يمت القلب ويذهب  
.... قلت يا رسول الله زدني .. قال : « عليك بالجهاد . فإنه رهبانية  
ت يا رسول الله زدني . قال : « أحب المساكين وجالسهم .. قلت يا رسول  
هولك ، فإنه أجدر .



أن لا تردى نعمة الله ... قلت يا رسول الله زدنى . قال : « قل الحق وإن كان مرأى » .. قلت يا رسول الله زدنى . قال : « ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك ، ونجد عليهم فيما تأتى » .. ثم ضرب يده على صدرى فقال : « يأبأ ذر : لا عقل كالندبير ، ولا ورع كالكلف ، ولا حسب كحسب الخلق » رواه ابن حبان والحاكم . جزاك الله عنا يا سيدي يا رسول الله غير ما جازى نبياً عن أمته ! حقاً : لقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، وجاهدت في الله حق جهاده . وصيرت على البلاء ، وتحملت الضراء .

أرأيت يا أبا الإسلام إلى هذه المائدة النبوية الشريفة الخافضة بالوان الغذاء الروحي الذي يرق بالفس من مدارج الخيال في مذابها إلى مسابح الأملك في أبراجها ؟ ثم أسمع كيف تدرج الصحابي مع الرسول من صحف إبراهيم إلى صحف موسى ، ثم وقف أمام المنهل العذب يسأل رسول الله - ﷺ - أن يوصيه ؟ ثم أرأيت كيف يستزبد رسول الله - ﷺ - في الوصية ؟ إنها ساعة السعادة ولحظة العمر المباركة ! وهل هناك في لحظات الحياة أمتع من أن يسأل الإنسان رسول الله - ﷺ - ؟

ثم أرأيت إلى جوامع الكلم وإلى الحكمة تنساب من فم رسول الله - ﷺ - كالدر المنثور ، لتألق أمام المسلم كأنها هالات النور ، ولتنبوع من أرنجها كأنها باقات العطور ، وليلقى الله بها كأنها أكابيل النور ؟

انظر إلى الوصايا الخالدة وكيف أن سيد الحق وحبيب الحق بوصى - أول ما بوصى - بتقوى الله . ثم يحكم على التقوى بأنها رأس الأمر كله ، وما التقوى إلا الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل . فهي كلمة جامعة مانعة : فمن اتقى الله خافه ، ومن خاف الله عرفه ومن عرف الله امتثل أوامره واجتنب نواهيه ومن خاف الله خافه كل شيء ، ومن لم يخف من الله خاف من كل شيء .

وإذا كانت مقومات التقوى أربعة ، وهي : خوف وعمل ، ورضا ، واستعداد ، ناسب ذلك أن يحافظ الإنسان على هذا الكثر الثمين ، بتلاوة القرآن العظيم وذكر الله الكريم . وليس الذكر كلمة تلوونها الألسنة ، أو تنسب بها الشفاه ، ولكنه وظيفة تتمثل في سبعة أنحاء : فذكر العينين البكاء ، وذكر الأذنين الأصغاء ، وذكر اليدين العطاء ،

وذكر اللسان الذكر  
التسليم والرضا  
والذكر الص  
ذكر أصل بعض  
الذكر والتفكير  
والنهار لآيات  
ويتفكرون في  
عذاب النار  
فالتقوى وتلا  
للإنسان في الأرض  
إن هذه المعاد  
نهضت أمة الإسما  
الربعة عالية :  
تسكيا ، والملح الأ  
فليت الدين و  
رسول الله ! ولي  
لقد قامت لليهود  
الخصس ، وكان أبو  
واعجب متى هذه  
الأذهب لأمره كي  
وقال من حور يور  
كله ؟ فاجاب الأ  
هو الطريق الوح  
فأما : كيف  
واحدة ؟ وكيف

## طريق المسلمين الأوائل

لقد أحس اليهود أنه لا وطن لهم إلا هذا الكتاب ، ولا مساج لهم إلا هذا الكتاب ، وهم يهربون به ، ويهربون إليه . فما بالنا نحن المسلمين نهرب من كتابنا وهو خير كتاب جاء به خير نبي إلى خير أمة أخرجت للناس إذا تمسكت بالقرآن العظيم واتبعت هدى النبي الكريم وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر .

- هذا هو طريق النجاة وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ [ آل عمران : ٢٥٦ ] .  
فاللهم اجمع رايئنا بالقرآن ، ووحّد صفوفنا بالقرآن واهدنا إلى طريق النجاة بهدى الخبيب المصطفى . وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

لقد انخرقا أيها المسلمون عن طريق الجادة والصواب وأصبحت كالفصمة التي تنداعى الأكنة إليها ، ليس من قلة ولكن من كثرة كثفاء السيل . على حين أن هؤلاء اليهود المنفردون المعزقون المشتتون أصبحت لهم وجهة واحدة وأمكرو بشيء واحد هو التوراة جمعهم وقارب بينهم وأحسن اليهود أنه لا وطن لهم إلا هذا الكتاب . وإنك أختي المسلم لكأحدك الدهشة ويستولى عليك العجب عندما تعلم أن عقيدة اليهود في إسرائيل - التي يتجمعون حولها - هي قولهم : إن الدين الذي أبقى على الآباء والأجداد . هو الذي يبقى على الأبناء والأحفاد ! .

ولقد يزداد عجبك وتشتد دهشتك إذا ما اطلمت على هذه الحقيقة المرة ، والتي توجد في رسائل التربية والتعليم في إسرائيل : فالطفل في سن الثامنة يتعلم العربية ، وفي سن الثانية عشرة يقرأ التوراة بالعربية ، فإذا ما بلغ أربعة عشر عام حفظ الحكمة والأمثال من التلمود ! وجعله يقول أن شذاذ الآفاق من الصهيبة والمعزقين والمشردين وبغات البشر المنفرد في أنحاء الأرض جمعتهم التوراة ، وألف بينهم الدين ، وأقاموا لأنفسهم دولة في الشرق الإسلامي لم يسموها دولة ، والزمان ، ولم يسموها مملكة بن جوربون ، أو غيره ، إنما سموها باسم نبي هو يعقوب بن إسحاق . سموها إسرائيل اسم ديبى ، اجتمعوا تحت لونه : لقد كانت الأحلام منذ عشر سنوات تتردد ، بن جوربون ، أن يضع يده على شبه جزيرة سيناء ليجعل منها حدوداً آمنة لدولة الصهاينة : لقد تحولت هذه الأحلام إلى أمر واقع بقوة الحديد والبار : ولكن الكلمة الأخيرة لن تكون لسدفع إسرائيل ، وإنما ستكون لأهل الحق عندما يعترفون بدين الإسلام ويرفعون راية التوحيد عالية خفاقة : هذا الدين الذي جعل سعد بن أبي وقاص يدخل القصر الأبيض - قصر كسرى - وينكت البساط بسهمه ويقل قوله تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك أورشالها قوماً آخريين ﴾ ثم يأمر بالأذان في قصر الطليان : فيقف المؤذن في جوف من أبهاء القصر ، ويرفع الأذان إلى الله وتدوي كلمات التوحيد

إلى عنان السماء وكان في القصر نار تعبد من دون الله فيها هو الأزان يعلن أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وما هي النار تشهد على الذين عبدوها بآلها والضلالة ، وبقرة الإسلام وعزته تطفأ نار الشرك بعقيدة التوحيد .

إن سعداً هذا قبل أن يتحرك بالجيش وقف بالمدينة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب يقدم له ولجيشه النصيح ، فماذا قال أمير المؤمنين في نصيحته العالية ؟ قال لسعد : يا سعد بن وهب : لا يعرنك من الله أن قيل حال رسول الله وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يحو السوء بالسوء ، ولكنه يحو السوء بالخير ، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالتناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء : الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ يفعله منذ بعث إلى أن فارقتنا ، فالزمه ، فإنه الأمر : هذه عظمى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين !

وعندما تأهب للانتلاق إلى العراق بالجيش قال عمر لسعد : إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كرمه لا يخلص منه إلا بالحق ، فعود نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتادا ، فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نأبئك تجتمع لك خشية الله واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : في طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه يفيض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه يحب الدنيا ويغضب الآخرة . وللقلوب حقائق يشهدها الله إن شاء ، فمنها السر ، ومنها العلانية : دما العلانية فإن تكون حامدة أو ذامة في الحق سواء ، أما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس ، فلا تزهد التجب فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً أحبه إلى خلقه ، فاعتبر منزلك من الله بمنزلك من الناس ، واعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك .

ولما استعد الجيش للتحرك . وقف عمر رضوان الله عليه بوجه إليه نصائحه العياص بالإخلاص وقوة اليقين ونور الإيمان . فماذا قال ؟ قال رضى الله عنه : إني والله تعالى ضرب لكم الأمثال بحصى بها القلوب . فإن القلوب مينة في صدورنا حتى يحبها الله . من علم شيئا فلينتفع به ، وإن للعدل أمارات وتباشير : فأما الأمارات فالخياء والسخاء واللين ، وأما التباشير فالرحمة . وقد جعل الله لكل أمراً باباً ، وبسر لكل باب مفتاحاً :

فباب العدل الاعتبار . ومفتاحه الزهد . والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات . والاستعداد له بتقديم الأعمال ، وتزهداً أخذ الحق من كل أحد قبله حق . وتأدية الحق إلى كل أحد به حق . ولا تصانع في ذلك أحداً ، واكتف بما يكفي من تكفاف ، فمن لم يكفه تكفاف لم يقنه شيئا ! إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد أقرنى . رفع الدعاء منه ، فأنهوا شكايتكم إلينا ، فمن لم يستنع فإلى من يلقتها ، فأخذ له الحق غير متنع .

وهذا النصيح وتلك التوجيهات خلاص « سعد » المارك الحامية الرحيب ، وبصر من الله توجوا كل المارك . ولما أنه الله عليهم نعمة النصر . أرسل القائد حرب والفتاح العظيم سعد إلى أمير المؤمنين عمر رسالة يشتره فيها بنصر الله ، تتقاطر برراً ورحمة : قال سعد يعصب الخنود والقواد

« يا سعد . فإن الله نصرنا على أهل فارس ، ومنحهم سنن من كان قلوبهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراعون مثل زهانتها . فلم يمنهم الله بذلك ، بل سلبه إياه ونقله عنهم إلى المسلمين واتبعهم المسلمين على الأبرار وغير طفوف الآجام وفي الفحاح وأصيب من المسلمين فلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا يعلمهم الله بهم علم ، كانوا يدورون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوى الحبل ، وهما ساد الدس لا يشبههم الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذا لم يكتب له

هذه كلست قائد محاهد في سبيل إعلاء كلمة الله ، ورفع راية التوحيد ، انتصر لأنه آمن بالله إيماناً راسخاً فصدق الله وعده حيث قال جل شأنه : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ [ الروء : ٤٧ ] .

فإذا كان اليهود يحتفون أن عوراه هي القلب الشديد الجذب الذي يجذب الفضال ويجمع الشارد من حوله ، فالأولى بنا والأجدر بأمة الإسلام أن تجتمع القلوب حول الكتاب الحق . والإمام الذي يهدي النفوس الشاردة ، والأولى بنا والأجدر أن نلتف حول مأذبة الله ، حول مائدة القرآن العظيم : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويشر المؤمنين الذين يعملون انصاحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ [ الإسراء : ٩ ] . هذا هو طريق النجاة ، حيث لا طريق غيره ، إنه طريق الحق والخير والنور .

فألهم الهدى وسدد خطانا واجمع شملنا ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا .

إذا كان هؤلاء الصهاينة يجمعون حول التوراة ويقتلون باسمها - وهم قلة ألباء الله ، ومعبروا كتبه ، ومحرفوا الكلم عن مواضعه - فأولى بنا وأحدره معاشر المسلمين ، أن تكون أمة قرآنية تصحح حول القرآن وتتخلق بخلق القرآن ، وترفع راية القرآن عالية خفاقة ، فهو جبل الله المتين ونوره المبين ، والهادي إلى الصراط المستقيم . والناس من حيث القرآن أربعة أقسام ، تدور حول القراءة والعمل ، يذكّرهم الرسول الكريم ، ويضرب لكل مثلا يأخذ بالآداب فيقول : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأثرجة : ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة : لا ريح لها ، وطعمها حلو . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة : ريحها طيب ، وطعمها مر .. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنثلة : ليس لها ريح وطعمها مر » .

إن التجمع حول القرآن هو تجمع بين أفئدة المسنين لأهم يتعاملون من منطق العقيدة الإيمانية التي تشع نورا يذيب نفوس الناس ويحسن أخلاقهم فالأمة القرآنية تتخلق بخلق الله وتتأدب بأدب رسول الله ﷺ القتال : « أدبني رف فأحسن تأديبي » والذي أحرث عائشة عن حلقه فقالت : كان حلقه القرآن وقال صدوق روى وسلامه عليه « ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق » ، وأغصا في جميع الزمان مدونة مجلجلة : « إنكم لن تعلموا الناس بأموالكم فسومهم بأخلاقكم » .

لو ما رأيت إلى الرسول ﷺ يعلن هذه الحقيقة لأصحابه ذات يوم فيقول : « ألا أخبركم بأحبكم إلى الله قلنا : بل يا رسول الله » قال : « أحبكم إلى خلقه » ؟ . ثم ألا سمعتم وهو يكرس هذه الحقيقة في قوله : « حسن الخلق يذهب الخطايا كما يذهب الماء الجليد ، وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل الخل » .

واعلم يا أخي أن أحبا إلى رسول الله ، وأقربنا منه مجالس يوم القيامة : أحاسن أخلاقنا ، الموطأون أكفأ ، الذين بالأمور ويؤلفون . فآئدين والأخلاق متبرزين لا يتقسم أحدهم عن الآخر .  
سيدى أبا القاسم يا رسول الله .

يا من له الأخلاق ما تنوى العلا منها وما يصعق تكبراء زانك في الخلق العظيم فمائل بغري بين ويولع تكرماء يوم يقود شاة الأمة على الدين والأخلاق ، سيرتفع ساؤها يطاع احبراء ، ويزاح نفس في الجلاء ، ولن تستطيع أية قوة على وجه الأرض أن تقاها أذى نبي . ويوم تنقسم الأمة عن الدين وتغال الخلق وتبعد عن الصراط المستقيم فلا بقاء ولا عزة ولا سند على الأرض .

ولقد صور الرسول ﷺ الصراط المستقيم تصورا يدعو إلى التفكير المستمر ، و حديث جمع قوى ، فقد روى ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ضرب الله مثلا صراط مستقيما ، وعن جانبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة وعند رأس الصراط داع يقول : استقيموا على الصراط ولا تعوجوا ، وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك ! لا تفتح ، فإنك إن تفتحه تلج : ثم لفسره ، فأخبر أن الصراط هو الإسلام وأن الأبواب المفتحة محارم الله ، وأن السور المرخاة حدود الله في قلب كل مؤمن » .

تأمل هذا الحديث الشريف ، وكيف بين أن الإسلام ، وكلمة قرآن كلامه ، أخذان به الأمة إلى طريق سجاة ، والعزة والكرامة ، كما قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه « لقد كنا أولاء فأعزنا الله بالإسلام ، وإذا اجتفينا العزة في غيرة أذلنا الله » . ما أعصمت بهدي يا رسول الله وما أجمل بهانك حين تمثل المصوبات بالمحسوسات . وحين تشبه العقول بالأنبياء المشاهدة : الصراط المستقيم هو الإسلام . والداعي غير رأسه هو القرآن . والأبواب المفتحة هي محارم الله ، والستور المرخاة هي حدود الله . إن الإنسان لو أوفى سحر البيان الذي تحركه العقائقة ، ومنح ريشة من الجنة ، وأغصى فترة التصوير عن التعبير : يوقف أمام هذا الحديث الشريف رافعا الراية البيضاء تسبيح واذعاناً لطلب سلامة في نفس طبقاتها ، فقد وضع الأمر غير توضيح : سلام لا إغواج فيه ، طريقه راصحة ، متاهجه قويمه مستقيمة ، مسالكه آخذة إلى صديق الرضوخ والسعادة وروست الجنان ، في أصول عقائد قوة ، وفي شعار عباده تركية وطهرة . وفي مبادئ قوانينه رفعة وعظمة ، وفي قواعد نظامه سمو وإرتقاء ، وسنا ورفعة وسناء

## أثر العقيدة في حياة المسلم

يا أمة الإسلام : إن من القوانين العلمية المقررة التي لا تقبل الجدل : قول علماء الميكانيكا : لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ، مضاد له في الاتجاه . وإن هذا القانون يظن على موقف المسلمين من اليهود ، فإذا كان اليهود يحاربون عقيدة فإن حرب العقيدة لا تقابل إلا بمثليها ، أى حرب عقائدية : فإذا كان هؤلاء الصهاينة يتجمعون حول التوراة ويقاثلون بأسمها - وهم قتلة أنبياء ، ومغترون كبي ، ومحرفو الكلام عم مواضعه - فأولى بنا أن نحارب عن عقيدة الإسلام ، رافعين راية القرآن : بالعقيدة انتصرت جيوش المسلمين ، وبالعقيدة اندحرت حموع المعتدين ، وبالعقيدة لقد سعى بن معاذ أنسبن النصر - وكان قد فاته شرف الجهاد يوم بدر فأقسم أن لا تقوته غزوة مع رسول الله ﷺ إلا وجاهد فيها - لقيه يوم هتف الدعى للجهاد ، يوم أحد ، وأعد الرسول العدة لقتال المشركين ، يومها لقي سعد أنس بن النضر وسأله : إلى أين يا أبا عمر ؟ فقال : واهاً : لريح الجنة ، والله إنى لأجد ريحها دون أحد ! ونزب البض المغوار حومة الوغى ، وساحة القتال ، وطارت على شفرة سيفه رؤوس ملؤها الجيروت والظلم ، وهاج في وسط المشركين كما يهيج الجمل لأورق ، وزائر فيهم زئي الأسود إذا ديس عربنها . وكان له شرف الاستشهاد في هذا اليوم

أندرى يا أبا الإسلام كم كان في جسده من الضرب ؟ لقد وجد في جسده اثنان وثمانون ، ما بين خربة بئيف ، وطلعه برمح ، ورمية بسهم ، حتى لقد شق عليهم أن يعرفوه من كثرة جراحه ، وما عرفوه يومها إلا أخته : عرفته بشيابه وبنائه . فماذا كان موقف السماء من هذا الشهيد البطل الذى نزل أرض المعركة والقلب ملئ بقوة العقيدة ، والنفس تشوق الى النعيم الأبدى حيث الروضات الباسمات ، والضياء والسكون المقيم ؟! لقد هبط سفير الأنبياء وكبير أمناء وحى السماء بجوب الأفاق ويطوى بأجنحته السبع الطباق . هبط على رسول الله ﷺ آمين الأرض والسماء بريقة عزاء قرآنية عاطرة شيع بها روح الشهيد الطاهرة ، إنها قول الله تعالى :

والقرآن لا يكف عن الدعوة والنداء داعياً إلى المابع الربانية مؤقلاً هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴿ وقد وضع القرآن نجلاء حرمت الله وحدود دينه . وفي اتقاء المحارم أرفع درجات العبادة ، كما قال أبو هريرة في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال : من يأخذ منى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ، قال أبو هريرة : قلت أنا يا رسول الله ، فأخذ يبدى وعد حسناً ، قال : اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب . هذه مكانة محارم الله : من اتقها كان أعبد الناس . . ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴿ .

أرأيت كيف جمع الحديث الشريف في كلماته بين الإسلام ومحارم الله وحدوده وقرآنه المجيد .

تلك هى معالم طريق النجاة : الاعتصام بحبل الله المتين وسنة رسوله الحبيب وجعلهما عقيدة ومنهاجاً إلى يوم الدين . .

فبالصلاة والسلام عليك يا رسول الله يامن بعثت رحمة للعالمين وحددت لهم المساهج القويم ليسودوا به على العالمين . .

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه : فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً ﴾ [ الأحزاب : ٢٣ ] .

فإذا ما لقبت بأخى بناظريك وبصيرت هذه البرقية المتطرفة الخالدة الفواحة بأريج الحنة ، رأيتها سجلت لهذا الشهيد وأمثاله من الشء الأبرار والأبطال الأضهار ، سجلت ثلاث صفات ، وقررت ثلاث سجايا من أكرم الشجائل وأطهرها وأطهرها هي الإيمان ، والرجولة ، والوفاء ! من المؤمنين : هذا هو الإيمان ، رجال ، تلك هي الرجولة ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه هذا هو الوفاء .

وبالعقيدة يرسل الرسول - ﷺ - زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ليصدق سعد بن الربيع بين الفتل يوم أحد ليفقه السلام من رسول الله ، إن كان على قيد الحياة ، فينادى زيد عل سعد ، فيجده بين جراحه ، ودمائه الراكية الطاهرة ، فيقول له : يا سعد : رسول الله يفرئك السلام ويقول كيف نحمدك ؟ فقوب سعد : وعلى رسول الله السلام ورحمة الله ، أجد ربح الجنة ، ثم يقول سعد لزيد بن ثابت : أبلغ رسول الله صلى السلام ، وقال له حراك الله عن إسلامه حيرا ، ثم يؤكد هذا الخبر ليريد يقول مع أصحابك ألا لا خير فيكم إن حصل من رسول الله - ﷺ - وبكم عن تصرف !!

فانظر إلى هذا الشهيد البطل وهو يودع هذه الدنيا ويستقبل دار الجنود والنعيم المقيم ، يودعها وقلبه مشغول برسول الله ، يودعها ولسانه يلحج بالثناء على رابع راية التوحيد ، يودعها وهو يوصي زيدا وأصحابه أن يكونوا أذانا ساعية ، وفمها واحة وجندا يقطون حول رسول الله - ﷺ - يمدونه ونعمونه ويحافظون عليه .. وبروح العقيدة تستقبل أبواب الجنات سعد بن الربيع ليسلك مدارج الأبرار ، ويقتل على حقائق الأسرار ، ويمش في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وبروح العقيدة يرى هذا الأعراى بأق فبايع رسول الله - ﷺ - على الهجرة ويحضر يوم خيبر ، ويقسم له رسول الله - ﷺ - من الغنم ، فيأبى أن يأخذ شيئا ويقول لصاحب الرسالة العصماء : ما عل هذا اتبعك يا رسول الله ، وإنما اتبعك لأرضي بسهم فأقبل فأدخل الجنة ! ويأبى أن يأخذ من الغنم ويرفض رفضا قاطعا . ويلحصر اتباعه للنبي - ﷺ - في كلمات ملؤها الإخلاص والوفاء والرضا ! لم يتبع النبي

- ﷺ - الدنيا بصحبها ، وإنما اتبعه ليموت شهيدا فيكون عبد الله في قوة يسر أمواتا ، وإنما قبل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ [ آل عمران : ١٦٩ - ١٧١ ] .

سعد كان - الرسول - ﷺ - عل هذا الأعراى الذى دخل تاريخ الإسلام من أشرف أئمة وأسماء ، فمن له سيد رسول الله - ﷺ - ، إن تصديق الله بصدقته ، ويرى ذلك الأعراى المعركة بعدما صحت الألسنة ، ونظفت الأسماء ، وخطبت السيوف على منابر الرقب ، وأقدمت الرماح على الخطط انصجاب .. ثم يرى هذا الأعراى وقد وقع شهيدا ، فيؤق جسمانه حاضرا إلى رسول الله - ﷺ - ، فيسأل الرسول - ﷺ - : « هو هو ؟ » فيرد : نعم يا رسول الله ، فيقول سيد رسول الله - ﷺ - : « صدق الله بصدقته »

زيت كيف هانت الدنيا وهان ما فيها أمام قلب عرف الله فأحبه ؟ سحرت روى فطرة من فطر جودك تملأ الأرض ربا ، ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر ولما .

لعمرك : ما الإنسان إلا ابن دبه فلا تترك الكالا عل نسب فقد رفع الإسلام سلمان فارسي وقد حط بالشرك النسب أو نسب

زيت كيف أن العقيدة تسير العزم وتحرك الجيب الشواخ ؟ إن من صبراه من أمتة إن هو إلا عزم من فطر ، وجره من كل ، وقفرة من بحر ، وسطر من قسطن على حد الباب مراتب لا تحصى ، ومراق لا تستقصى ، فمن أخذه أحد خط وافر ب شدة من رضا الله يفضى غضب ملوك أهل الأرض . وإن حمله من سحره الروح ، ولو حمت في بعر الدنيا .

كيف كان هؤلاء : أنبر كانوا ملائكة ؟ كانوا بشر ، وذكر الله أنسبهم ، والنفه كرهه ، والخرق ريفهم . والعمه سلاحهم ، والصبر دئهم ، والرضا عيمته ، والزهة حرفة . وبين قوتهم ، وعصم شيمهم ، نقاعة حسب ، والجهاد حنيفة . وحملت قرة عيمه في صلاة ، عرض الله عه ورضوا عنه : ﴿ وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [ التوبة : ١٠٠ ] .

فانهم ثبت قلوبنا على دينك واعمرها باليقين والعقيدة الراسخة التى تحمى بحق غير أمة أخرجت ساس . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .

## بهذه الروح انتضر المسلمون

مارثنا بواصل معارضا في أرحاء العفيدة العالية لنداهه لشبهة التي حفت النصر للمسلمين ، ورفعت راية التوحيد عالية حفاقة عبر العصور والأحبال وحملت المسلمين سادة الأمم والشعوب بمقيدتهم البينة الراسخة .

ووها هو عبد الله بن حذافة يقف أمام قبعر الروم . ماذا قال لسان العفيدة وقلها للجياش بوز البقيس ؟ ماذا قال هذا اللسان مترجما عن هذا القلب لملك روم ؟ لترك البيهقي وابن عساكر بروربان هذه الحادثة : عن أبي رافع قال : ه وحده عمر بن الخطاب رضي الله عنه حبشا إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب نبيهم . فأمره الروم ، فذهبوا به إلى مكبهم ، فأتوا له . إن هذا من أصحاب محمد ، فقل له حذافة : هل لك أن تنصير وأنت في مكلي وسعياي ؟ فقال له عبد الله : لو أنصير ما نلتك وجميع مملكه العرب حتى أن أرجع من دين محمد ﷺ طرفه عين ما نعتك قد . إذا فقلت . قال أنت وذاك . فأمر به فسلب ، وقال للرماف : أرموه فربما من يديه ، فرب من رجليه ، وهو يعرض عليه . وهو يأبى . ثم أمر به فأمرل ، ثم دعا ينفذ فصب فيه ماء حتى حترفت ، ثم دعا بأسيرين من النصارى ، فأمر بأحدهم فألقى فيها وهو يعرض عليه النصرانية ، وهو يأبى ، ثم أمر به أن يلقى فيها ، مما ذهب به بكرى . فقبل له إياه قد بكرى ، فظن أنه جزع ، فقال ردوه ، فعرض عليه النصرانية فأبى . فقال :

ما أبكاك إذا ؟ قال : أبكاني أني قد قلت نفسي : تلقى هذه الساعة في هذه القدر فتذهب ، فكنت أشعنى أن يكون بعدد كل شعرة في نفسي تلقى مثل هذا في الله ! قال له الطاغية : هل لك أن تنقل رأسى وأحلى عك ؟ قال له عبد الله : وعن جميع أسارى المسلمين لا أبالي ! فمد منه ققيل رأسه ، فمدع له الأسارى . فقدم بهم على عمر رضي الله عنه . فأخبر عمر بحيره ، فقال عمر : حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدا ، فقام عمر ، فقبل رأسه .

حقا إنها عقيدة الراسخة التي جعلت الباطل يذعن أمام الحق واعتبر أصحابه به باقيات على نبأ ، إنهم خرجوا مدرسة محمد ﷺ التي تخرج منها المصح لمطعم كافي بكر والزعيم ملهم : كعمر ، والحس الكرم : كعثمان ، والعقري النذ : كعص ، والمنفى أخير كأمين عباس ، والمنرس القدير : كأمين عمر ، والثقات الجبار كحماد ، والزاهد الحليل : كأي ذر ، والمحدث الكبير : كأي هريرة ، والفقيه جرع كأي مسعود ، والعلل المعول : كالزير ، والفتاح العظيم : كسعد ، والحكيم البارح : كسلمان

إنهم أصحاب محمد الذين قال الله فيهم : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في دحرهم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة ، ومنهم في الإنجيل كررع أخرج شطاة فأزره فاستلظ فأسوى على سوقه ، يعجب الزرع ليمط بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ [المح : ٢٩] .

بهذه الروح انتضر المسلمون ، وبها كانوا دائما حمزة مشاعل الهدى . لا تواكل ولا تكسل ، ولا فرقة ولا نخال ، وإنما عمل دائب وجهاد .

مستمر : عرفوا للزمان قيمته ، حتى إذا جاءهم النذير بأن هناك خطر داهي يوشك أن ينزل به ، استعدوا وورنوا الزمان بأدق من ميزان الذهب ، فصاروا مصطفين ، وعصوا أن الطائفة التي تكذب الإمدار سوف يامون الليل ، حتى إذا ما ذهبت النكرة ، وحتت النكرة ، وانقص السوق ، نادوا ، ولات ساعة مندم . ألا فليمنع أسرته أن يفتن ديا الناس مسى على أموة ، وأن انصعاء لا مكان من على مواك الأقرباء ، فإذا لم تعمل بهذا النصيح الغافل الذي وجهه إليا سيدنا رسول الله ﷺ في قوله : مثل ومثل مايعنى به كمثل رجل أتى قوما فقال لهم : لقد رأيت الجيش يعمى وأنا فوجوا ، وكذبت طائفة فصحبهم الجيش فاجتحمهم .

إذا لم يعمل بهذا النصيح فلا يك من إلا أنفسا . فقله صلوات ربي وسلامه عبه ( رأيت ) - ثم بعد ذلك ( يعمى ) ولا تكون الرؤية إلا بالمعبر . ثم قوله : وأنا النذير العريان ، ولا تطلع النذير ثابه إلا إذا كان الخطر شديدا ، والحض فادحا ،

## القرآن يحذر عن انحراف القوى النفسية

لقد كان الإنسان كثير من حربه وأوامر وإلهامه وشكوكه والمواقف...  
فإن الكذب العريض خارج هذه الناحية فيه ، فذكر كثيرا وبه ورشد : وبين نوره بوعيد  
ونور الوعد بسط القرآن لكرهه أصواته ليجرد من النار ويحشر بالجنة ، وبه كان  
لسلف صالح رضوان الله عليهم نحى أصلاهم على آخره من القرآن في حردليل  
، كمن مر أحدهم بأية نشر بالجنة بكى شوقا إليها . وبه مر بأية نذر عذاب  
شوق شيئا كثر في نفسه من شيء . هكذا نظر الله إليهم في خوف كثير . كانوا  
قليلا من الليل مل يحسرون وبالأصباح هم يستغفرون . وفي أموالهم حزن نسائل  
والغروم [ مداريت : ١٩ ] .

إذا كان فلاسفة الأخلاق يتكلمون عن القوى العنسية والشهوانية بعنفية ،  
ويتكلمون عن نهات النفس ، وهي العدل والشجاعة ونعمة والحكمة . وجميعها  
تدور حول هذه القوى . وعند هذا يشأ عنه فضيلة نعمة . واعتدال الفؤاد بحفلة  
بالرذائل . فالقوة العنسية قد تنحرف فتشأ عنها رذيلة الشهوة ، والقوة الشهوانية قد  
تنحرف فتشأ عنه رذيلة الاعتناء ، عن الأعراض ، والقوة العقلية قد تنحرف فتشأ  
عنه رذيلة الغش

ونقد بين القرآن لكرهه خبيثة انحراف القوى ، فقرر بين الجرائم التي قد نشأ عن  
انحراف قوى وحرسها في حديث تكثير التي هي الله عب وحذر من قرب . مري  
القرآن لكرهه بقرن بين جرمين القتل والزنا ، وهما ناشقان عن انحراف القوى العنسية  
والشهووية ، بقرن بينهما في ثلاثة مواضع .

أولها : في سورة الأنداء في قوله تعالى : ﴿ ولا تقرّبوا الفواحش ما ظهر منها وما  
بطن ، ولا تقربوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ [ الأنعام : ١٥١ ]

وثانيها : في سورة الفرقان حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ واللذين لا يدعون مع  
الله إلها آخر . ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ .

والذين مدحمة . والناس أمام هذا الإنذار فريقان : فريق استغل الوقت استغلالا طيبا  
فساروا أول الليل لكي لا يمتنعهم ركب السر ، فحوا ، ولم يستطع العدو أن يدركهم  
بقوته ، لأنهم أخذوا الأوبة واستمعوا الاستعداد كله ، وأما الضعفة المكذبة فابهم بأمرو  
وأخذت أطياف الكرى نمر أحماسهم ، وأخذوا إلى الراحة والكسل ولم يعد للأمر  
عدته ، ولا تأمن مكر الأعداء .

لقد أكد الرسول ﷺ هذا المعنى عندما نادى على القبائل وهو فوق الصفا : أراهم  
لو أخبرتكم أن حيلة وراء هذا وادى تريد أن تعبر عليكم ، أكنتم مصدق ؟ قالوا :  
نعم والله ما حربنا عليك كذب . فقال : إن رسول الله إليكم حاسة وإلى الناس  
عامة . ثم إن الرسول وهو يدع بيانه هذا يؤكد صدق قوله بفول لعمرو إن الرائد  
لا يكذب أهله : وحاشاك يسدي بأرسوب الله أن يتطرق الكذب إلى كلامك .

ثم يكرس الرسول ﷺ هذه الحقيقة ويرسي دعائه هذه المبادئ بفول : والله همون  
كما تنامون ، ولتبعن كما تستنظرون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجروا بالإحسان  
إحسانا وبالسوء سوءا ، وإياها لجنة أبدا أو لنار أبدا .

إن مواكب الذكريات الخاصة تنادي : أ أجيبوا داعي الله وآملوه ، وتذكر أنه  
لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح أولها . البقعة بدل العتقة ، ومث روح الخفر  
إذا حاول الإهمال أن يدب في النفوس . فقد قدمت إسرائيل على مسمع من الدنيا  
واجتمعت الأمم ، وانفضت مرات ومرات . وإسرائيل تبني وتهدم : اجتمعوا بحجة  
الحفاظ على السلم ! وهل حط السلم .

وهل رفع الحق الدليل جبهه ؟	وهل نحن بتنا لا يروعا الظلم ؟
سبحنا كلاما لذ في السبع وقعه	ووب لذيد شاب لذته السم
أما في كالأحلام : زجرها الكرى	وقل على الأيام أن يصدق الحلم
أرى الدول الكرى ما السم وحدها	وقد عادت الصغرى على رأسها الغرم
متى عفت الذبان عن خم صيدها	وقد أمكتها من مقاتلها الهم
كل شعب : طالع حقه مدى	إذا لم يؤيد حقه المدفع الضخم

بالت قومي يعملون بأمر بداء رسول الله ﷺ يجب أن يأخذ طريقه إلى الآذان  
بذوى وبجلجل ويقول : لقد رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



وثالثها : في سورة الفرقان حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْرُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ .

أما القوة العقلية فهي اعتدافا فصلة الحكمة ، وفي انحرافها رذيلة العيث ، وإنما ينحرف العقل عندما يستعمل في غير ما خلقه الله له ، حيث يضرب ويتخطى في مجال لا يعرف حقيقته ولا أوله ولا آخره . كما حدث لبعض الفلاسفة الذين أجهلوا عقولهم بغية الوصول إلى حقيقة الميب - أو ما يسمونه بما وراء الطبيعة - فكانوا إلى الوثنية أقرب وعن الحقيقة أبعد مما بين السماء والأرض ، لأن يحيط ما وراء ما وراء الطبيعة أعنف من أن يحجز بهابيه سبحانه ماهر .

ولذلك جاء الحديث مخفرا من هه : يقول رسول الله ﷺ : « تفكروا في آلاء الله ، ولا تفكروا في ذات الله تفكروا » .

روى عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال : « ما جهل الناس ، ولا اختلوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس » .

لقد أراد أرسطو أن يضع طبيعة ، وما وراء الطبيعة للسان البشري ، فأبدع كل الإبداع تنسيقا وإسحاما ، وأحضر صدقا وانجاها ، فكان مثله كمثل اللوحة الرائعة البراقة ، والسراب الخادع ، فقاد الإنسانية إلى انحراف هائل ، وإلى اضطراب في الفكر وفي العقيدة لا حد له .

ولا ريب أن الإنسان منذ أن وجد معه روح من أمر الله وهو الوحي : يرشده ويهديه ويبين له المسار ، ويقرأه في مسائل التي لا يصل إليها تفكيره البشري إلى حل فيها ، وهي مسائل ما وراء الطبيعة ، والإنسان عموما يفكر في الوحي ، ويريد أن يعرف العلل والحكمة ، ويريد أن يصل إلى السر ويكتشف الغايات ، ولكن ما أجل قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خفيه رجدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴾ : فإلم الغيب إنما هو حجر محجور بالنسبة للعقل البشري ، وتقديس عالم الغيب عن أن يسلك بمفتاحه ، أو يكشف عن مساميره ، إلا من أذن له الله من نبي مكرم أو من رسول مأمون .

إن نظرة بسيطة في موقف « أرسطو » فيما وراء الطبيعة وفي جواب الصديق رضي الله عنه بين لنا مدى إحننا أحدهما وجدة الآخر : فأرسطو استعمل العقل في غير مجته ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يسأل : « بم عرفت ربك ؟ فبقول : عرفت ربي ، ولولا ربي ما عرفت ربي ! قبل : فكيف عرفت ؟ قال : العجز عن إدراك ، إدراك ، والبحث في ذات الله إشراك .

وما أحمل ما قاله علي رضي الله عنه حين قال : إن كنت الميون لا ترون مشاهدة العيان ، فإن القلوب تدركه بحقيقة الإيمان سبحانه ربي لا يترك بالحواس . ولا يقاس بالناس ، فوق كل شيء وليس تحته ، وهو في كل شيء لا كشيء ، ﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾ [ الشورى : ١١ ] .

فما أحسن « أرسطو » وأحسن « الحكمة » وأسلم هذه العقول التي عرفت بكل شيء ، فاصدورت حكمها عدلا وصدقا ! وقد سأل بعض الماديين الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه فقال : هل أنصرت ربك ؟ قال الإمام : سبحانه ربي ! لا تدركه الأعصر . قال : من أحسنت فأحد حوسك ؟ قال الإمام : سبحانه ربي ! ليس كمثل شيء . فقال : مسائل : هذا لم تكن أحسنته ولا أنصرته : فمن أين تثبت أنه موجود ؟ قال الإمام : بهذا : هل أنصرت عقلت ؟ قال : لا ، قال : لا قال الإمام : أثبت عقلك أم مجنون ؟ قال له : أرا عاقل . قال الإمام : فأين عقلك ؟ قال : موجود ، قال الإمام : كذلك لله حل حلاله موجود

وهكذا تبين لفصاحة والحكمة في مثل هذه المجالات التي تحتاج إلى استعمال المطلق حديد ، رد رشيد

قولون : أي الله أين عجائبه ؟ وإذا الكون سفر ناطق وهو كاتب يشكون والإيمان ملء قلوبهم ولكن جهل المرء لا شئ غالب

كذلك يريد الإسلام من العقل أن يتج للناس في شتى العلوم الكونية ما يعود على البشرية من نفع . فاسألوا التاريخ عن أجداد الإسلام : عن علم الضوء وصيريات لابن الهيثم ، وعن مكتشف الدورة الدموية وهو ابن النفيس ، وعن كيمياء بن حيان ، ورياضة جبري ، وملت من سباء ، وعلم الجواهر ورسائل للحافظ . والغامض

والكاسر نبت بر فرة ، والفلك لنباني : اسألوا التاريخ عن هذه الأجداد ، وكيف  
سلطت في سماء العلا ؟ إنهم خرجوا مدرسة الإسلام العظمى الذين طلعوا كالنجوم  
الدرية نضى للناس في لجج البحر .

اللهم وفقنا لما نبحه وترضاه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتفون أحسنه وصل  
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### القرآن طريق العصمة من خطوات الشيطان

طريق القرآن معصوم ، لأنه : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل  
من حكيم حميد ﴾ [ فصلت : ٤٢ ] ، وقد شهد للقرآن أعداؤه شهادة يعرف للحق  
من حبه عظيم مكة يسمع من الرسول ﷺ آيات يثبت فيقول : لقد سمعت من  
محمد كلام ما سمعت مثله قط : إن له حلاوة وإن فيه لطلاوة ، وإن أملاه لشعر  
وإن أسفه صدق ، وإن يعلو ولا يعل عليه .

ويقول مستشرق : مار مديوك بكسائل : يكفى الإسلام عطمة أو أصحابه ظلوا  
ثني عشرة سنة في اضطهاد وتعذيب بين مكى الأسد ، ومع ذلك كانوا يرددون ولا  
ينقصون ! ويكفى كذب الإسلام جلالاته أنه مضى عليه أربعة عشر قرناً من الزمان لم  
يصب أمره بخفان ، بل ظل عصا مدبها كان عهده بالحياة أمس .

وهكذا نطق الأمراء للنسب بأنها مصدر النور والحرارة ، لا يكر ذلك إلا جاحدا  
أو مكابر وسي الإسلام الذي بهذا الكتاب المعصوم فهو معصوم أيضا ، وقد شهد له  
لأعداء أيضا شهادة حق لن يستطيعوا يحرقوا أو يبدلوا فيها : فيها هو أبو سفيان بن  
حرب - قيل أن يدخل الإسلام - يعتقد هرقل : عظيم الروم معه اجتمع ماركا للنظر  
في شأن سي الإسلام بشأنه عن كل ما يتصل به ، فادفا ، كانت الأسئلة ؟ وكيف  
كانت الإجابة .

أنقل بكم الآن إلى البلاط الروماني القيصري لنخبر هذا الاجتماع عن الطبيعة ،  
ووكالات الأنبياء التي أذاعت هذا الاجتماع غاية في قوة التصديق ، فإياها وكالات الإمام  
البحارى .

عن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب  
من فرس وزكناوا نجارا بالشام في المدة التي كان الرسول ﷺ ماداً فيها أبا سفيان  
وكمار فرس ، فأنزله وهم بالبياء ، فدعاهم إلى مجلس وحوله عظماء الروم ، ثم دعاه  
ودعا بالترجمان فقال : أيكم أقرب نسباً لهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال

أبو سفيان : فقلت أنا أقربهم نسباً ، قل له إلى سائل هذا الرجل ، فإن كسب فكذبوه ، فوالله لولا أن يؤثروا عني كذبا لكذبت عليه ، ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال : كيف نسبة فيكم ؟ قلت : هو فيها ذو نسب . قال : فهل قال هذا يقول أحد منكم ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آباءه من ملك ؟ قلت : لا . قال : أيزيدون أم يتقصون ؟ قلت : بل يزدون . فهل يرتد أحد منهم سخطا لديه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تهيمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا : ونحن لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم يمكنني ولم يمكنني كلمة كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال : فهل فالتيموه ؟ قلت : نعم قال : كيف تقتلكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه محال . بنال منا ونالته . قال : بماذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، والركوا ما يقول آباءكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسب فزعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك : هل قال أحدكم هذا القول قبله لقلت رجل يقول قبل قبله ، وسألتك : هل كان من آباءه من ملك ؟ لقلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك : هل كنتم تهيمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا : فقد أعرف أنه . يكن ليلد الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك : أشرف الناس تبعوه ضغافهم ؟ فذكرت أن ضغافهم تبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك : يزدون أم يتقصون ؟ فذكرت أنهم يزدون . وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك : أبعد أحد منهم سخطا لديه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تعدوا ، وسألتك : ثم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبهاكة عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فإن كان ما تقول حقا فسيهلك موقع قدمي هاتين ، وكنت أعلم أنه خارج ، وما كنت أظن أنه منكم ، فلو أعلم أني أحصل له لتجست لقاته ، ولو كنت عنده لفست عن قدميه .

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعثه مع دحية رضي الله عنه عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل ، فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك

بדعوة الإسلام ، أسألكم الله أجركم مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم المرسلين . وبأهل الكتاب نعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا فجعلوا بأنا مسلمون .

قال أبو سفيان : فما قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب ، وارتفعت الأصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين خرجنا ، لقد بلغ من أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه منكم هي الأصفر ، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى تدخل الله على الإسلام .

إن هذا الحوار الذي دار بين هرقل و هرقل ، أبي سفيان ، أهم كان أبو سفيان على الشرك تردد بين عدوين للرسول محمد والإسلام ، وقد قالوا : « الحق شهدت به الأعداء » . إنه حديث لا يصلح أن تلوكة لأكسنة أو تتحرك به الشفاه دون أن تشير غورة ، وتعمق ل مكتون سره ، فإنه يحير وثيقة تاريخية خالدة ، ما تدل على الملوان واحتلف المديان .

١٠ عشرة أسئلة رد عليها بعشرة أجوبة . ثم تبعها نتيجة من هرقل ، لو كان يستطيع أن يخلص إلى رسول الله ﷺ لتحشم الوصول إليه ليعسل عن قلبه : فأقرأ هذه الوثيقة مرة ومرة فإنها نفى وشخصية لأعظم إنسان عرفه العالم وهو محمد بن عبد الله ﷺ : ولنى الإسلام شهد الكاتب الإنجليزي « رناردوشو » شهادة لحصلت مفاتيح العظمة في سيدنا رسول الله ﷺ قال « شو » : « كان محمد بن عبد الله يشا في القرن العشرين لحل مشاكل العالم ربنا يتعاطى فحانان من القهوة

ما ثمة أدنى شك في أن طريق القرآن معصوم من الرق والحطأ ، وأن سبي الذي جاء بالقرآن معصوم قال سبحانه : ﴿ قد جئناكم من الله من نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه السبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ . [ المائدة : ١٦ ] ، ونظرة في كتاب الله . وفي رواية بالذات - تجعلك تفت أمام عرابه وقد أخذت الدعشة واستولى عليك المحب فارة تذكر لوائيل السور وصفها هذا الكتاب ، وتارة أخرى وصفها الذي أنزل هذا الكتاب . وإليك التطبيق لهذه القاعدة .

يقول الله في شأن هذا الكتاب : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] ، ويقول في وصف ذاته الأقدس — وهو الذي نزل عليك الكتاب بالحق ويقول في وصف الكتاب : ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ [يونس : ١] ، وفي وصف الكتاب ومنزله : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [هود : ١] ، وفي وصف الكتاب : ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ [يوسف : ١] . وقال : ﴿ تلك آيات الكتاب ، والذي أنزل إليك من ربك الحق ﴾ [محمد : ١] ، وقال : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ [إبراهيم : ١] ، وقال تعالى : ﴿ تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ [الحجر : ١] . وقال تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . فيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ﴾ [الكهف : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ [الفرقان : ١] ، وقال جل شأنه : ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمتقين ﴾ [السجدة : ٢] ، ثم يؤكد مصدره فيقول في أول سورة السجدة : ﴿ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ وفي سورة [يس] يصفه بالحكمة فيقول : ﴿ يس . والقرآن الحكيم ﴾ [يس : ١] ، وفي سورة [ص] يصفه بأنه صاحب الذكر فيقول : ﴿ ص . والقرآن ذى الذكر تنزيل الكتاب ﴾ وفي سورة غافر يصف من أنزله بالعزة والنعيم : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ . وفي سورة [فصلت] يصف من أنزله بالرحمة المطلق : ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ وفي سورة [ق] يصفه بالمجد فيقول : ﴿ ق . والقرآن المجيد ﴾ . وفي سورة [الرحمن] يفتن على عباده بأعظم منة وهي تعليمهم القرآن حتى يلمس أعظم هذه النعمة أن قدمها في الذكر على خلق الإنسان قال سبحانه : ﴿ الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان ﴾ وفي سورة [الجن] يأتي المرفف الرابع والشهد البديع حيث تلفت الجموع حائرة من الجن تستمع إلى القرآن الكريم فينزل منها منزل فطرات الندى على الرهرة الصمى ، يتقاطر سورا ورحمة ، ثم وصفوه ؟ قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي إلى الرشدا ، فأما به ، ولن نشرك بربنا أحدا .

ولقد كان لهم شرف حمل الدعوة إلى قومهم بعد أن أعطوا هذا الكتاب حقه من

حسب الاحتياج والتأديب في مجلسه ، قبلوا من مائدة الله الكريم ما استطاعوا . قال جل شأنه : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن : فلما حضروه قاموا أنصتوا . فلما قبضوا ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من عند موسى مصدقا لما بين يديه . يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ [الأحزاب : ٣١] .

فألهه اجعل القرآن العظيم ، ربيع قلوبنا ونور صدورنا واجعله الهادي لنا . الصراط نستفيده وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

## القرآن وأثره في سلوك المسلم

تحدثنا في المقال السابق عن عظمة القرآن الكريم وكيف وصف الله كتابه بصفات كثيرة تدل على عظمته منزله وامتن الله علينا في آيات عديدة بأعظم منه وهي تعليمنا ذلك القرآن عن طريق رسوله الحبيب

ونواصل حديثنا فنقول - وبالله التوفيق - إذا ما نظمت هذه الصفات للكتاب الكريم في عقد مرقد رأيتها في مجموعتها تحكمت بالحكمة الذكور والمجد والاحكام والهدى والبشرى والرحمة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ورأيت هذه الآيات في فوائح السور تربط بين صفات الله تعالى وصفات كتابه الكريم ، ونصف الله بصفات الكمال التي تليق بذكائه الأقدس ، وتحكم بأن تنزيل الكتاب - أن الكتاب المنزل من عند الله ، الموصوف بأنه الحي القيوم ، وبأنه العزيز الحكيم ، فإذا كانت هذه الصفات صفات الكمال ، وجمعت للكتاب نفسه هذه الصفات الكريمة ، فضلا عما احتوته الآيات الليات إذ ما عصفت في بحار القرآن .

إنه أمر لا يحصى عد ، ولا يحيط به حد : فأنه قوله الحق ، والقرآن كلام الله ، الواجب له كل ما يليق بذكائه . والله نور السموات والأرض ، والقرآن نور : ﴿ يَأْتِيَا النَّاسَ قَدْ جَاءَهُمْ بَرَاهَانٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [ النساء : ١٧٤ ] ، والرسول ﷺ نور : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [ المائدة : ١٦ ] .

فمن سلك هذا الطريق جعل الله له نورا في قلبه ، ونورا في سمعه ، ونورا في بصره ، ونورا في عظمته ورحمته ، وجعل من فوقه نورا ، ومن تحته نورا ، ومن أمامه نورا ، ومن ورائه نورا ، ومن يمينه نورا ، وعن شماله نورا ، وبالجملة أصبح ربانيا وقرآنا يمشي بين الناس . قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [ آل عمران : ٧٩ ]

ومن ترك هذا الكتاب زلت قدمه ، وتسلب عليه شيطانه : ﴿ وَمَنْ يَعْشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيُصْحَفُونَ عَنْ الْكِتَابِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

مُهْتَدُونَ ﴾ [ الزخرف : ٣٦ ] . وتقلب هذه الصداقة التي كانت بين وبين الشيطان . والدنيا إلى عداوة بنهضة في الآخرة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ يَا بَنِي آدَمَ بَعْدَ الْمُشْرِفِينَ إِنَّهُنَّ لَأَنْفُسُ الْفَرِيقِ ﴾ [ الزخرف : ٣٨ ] . لأن كل صدقة تقوم في اسم الله على غير معرفة الله تقلب إلى عداوة يوم القيامة : ﴿ الْأَحْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بِصِغِيرٍ كَبِيرٍ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [ الزخرف : ٦٧ ]

ولذا قال رسول الله ﷺ : « غير الأصحاب من إذا ذكرت الله أحملك ، وإذا نسيت ذكرت ، وشر الأصحاب من إذا ذكرت الله لا يملك وإذا نسيت لا يذكر » . وقال : « لا تصاحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » . وسنت يقول : « مؤمنين يوم القيامة : ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [ الزخرف : ٢٨ ]

فإذا كنت السالك لطريق الهدى يعيش بين هالات الأنوار من جميع الجهات من تسلط عليه شيطانه يسد عليه حواس الحياة فقد غلق الكتاب جبريل بذلك من لسان إبليس . يقول : ﴿ قُلْ فِيمَا أَغْوَيْتِي لِأَقْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، ثُمَّ لَا تَجِدُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [ الأعراف : ١٧ ]

إن هذا القرآن العظيم يغفر ويرشد وينبه ويوقظ ويكشف خدع شياطين . من تعالى ينادي على عباده فيقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [ النساء : ٢٣ ] . وبين عاقبة اتباع هذه الخطوات يقول : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [ النور : ٢١ ] . والمأساة في هذا الصدد - بعد أن الله تعالى من من سلك خدع الشيطان وذلك لأن الشيطان لا يأخذ إلا ما يراه في المعصية مباشرة ، وإنما يسبق ذلك خطوات على طريق المعصية : يستدرج الإنسان فيها شيئا متينا ، حتى يجد نفسه أمام أمر شنيع ، فإذا ما انغمس في المعصية ووقع بعد وقوعها تذكر أنه لو حسم الأمر في يادته ما أدى به إلى أن يكون من الضالين لأمر الله . ويتأكد هذا المسمى وينجل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّيَاءَ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾ [ الإسراء : ٣٢ ] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [ الإسراء : ٣٤ ] .

فالتبني في هذه النصوص عن القرب ، وهو بالأولى نبى عن فعل الشيء صفة ، فقرب الزنا أو قرب الفواحش : هو عبارة عن مقدمات تؤدى إلى الفعل الشنيع . والمقدمات : كالطرفة والخلوة بالمرأة الأجنبية والنسب أو التفتيل ، إلى غير ذلك من الدواعى التى تؤدى بصاحبها إلى الوقوع في ما حرم الله . وقرب مال اليتيم بغير ما أمر الله : هو النظر إليه بين الطمع ، وتبديل طيبة بحيث مال الوصى ، واخلط المالين : مال الوصى ومال اليتيم - دون أن يكون هناك حساب قائم بحسن المقادير .. قرب هذه وسائل قرب بغير التى هى أحسن تؤدى إلى كسب الحرام ومن الحرام . قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آمُورًا ، وَلَا تَسْدُلُوا الْحَبْثَ بِالْقَبْثِ ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَ الْأَمْوَالِكُمْ إِنَّه كَانَ حَرْبًا كَبِيرًا ﴾ . إذ أن من حارب حول أخفى يوشك أن يقع فيه . ألا إن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله عماره .

ثم إن هذه الآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [النور : ٢١] ، إنما جاءت عقب آيات تنصص قوانين إسلامية في نظام المجتمع ، على الآية رقم [ ٢١ ] من سورة « النور » .. حد الله في هذه الآيات السابقة حدوداً للزنا وقذف المحصنات العافلات المؤمنات ، وبين حكم اللعان بين الرجل وزوجه ، ثم نصص علينا حديث « الإثم » فيمن يفت أن تشيع الدخشة في ديني أمورا .. فكل هذه الأمور قضايا حاضرة أخذ فيها الإسلام مواقف حاسمة تسيير سبيل الحياة في جو معتدل . وبغير هذه المواقف والأحكام والحدود فإن السفهة لم تغد أشاح الصالح . ولا أخير الملام ولن تكون ها الرياح مواتية . إذ سرعان ما تستقدم صحرة عاتية تؤدى به إلى قاع الخيوط ، ومن هنا نبين أن هذه الخرافات السابقة إنما جاءت نتيجة لاتباع خطوات شيطان على طريق الخصية ، ولها مبادئ ومقدمات أدت إليها .

ولقد امتن الله سبحانه وتعالى علينا حين لنا الرشد من العمى فقال : ﴿ يَرْبِدُ اللَّهُ لِيَبْنِي لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ فِي الْفَنَنِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَاللَّهُ يَرْبِدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيَرْبِدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمْلِكُوا مِلًّا عَظِيمًا . يَرْبِدُ اللَّهُ أَنْ يَخَفَّ عَنْكُمْ ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعْفًا ﴾ وقال جل شأنه : ﴿ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

لقد انتفع السلف الصالح بهذه الدروس الخالدة التى عرست فيهم ومع السجنا وكريم

سدى احلية في شتى صورها . فمن أهم ما يتميز به هذا الدين العيب أنه دين الرحمة فقد قال - عليه الصلاة والسلام - متحدثاً بنعمة الله عليه : « إِنَّمَا أَنَا رَحِمَةٌ مَهْدَاةٌ » وقال : « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ » . وقال أيضاً : « لَا تَزُغِ الرَّحْمَةَ إِلَّا مَن شَقَى » ، وقال أيضاً : « مَنْ لَا يَرْحَمُهُ لَا يَرْحَمُهُ » .

وكفى الإسلام في جمال رحمته وبالح إنسانيته ورافته أنه فتح أبواب الجنان لرحم سقى كلباً كان قد اشتد به العطش وأدخل امرأة النار لأنها هذبت مرة حبسها : « حَمَى أَلَمَتِهَا ، وَلَا هِيَ تَرْكَبُهَا تَأْكُلُ مِنْ عَشَائِشِ الْأَرْضِ ، حَتَّى مَاتَتْ جَوْعًا » .

وتجمل وتأنق هذا الجانب من الرحمة في أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - في حادثة تحنى لها الجباه العلية . فعمر - في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - وهو بمثابة وزير عدله - يتهمد امرأة عجوزاً عبياء : برش في ثيابها ويلوم بتنظيف أرضها ، ويحضر لها طعامها . ويوصيها ألا تخر أحدًا بهذا الشأن . وبأن ذات يوم فيقاجاً بأن الحيلة قد كنتت ورشت وأحضر لصمام للمحور ويسألها : من فعل هذا ؟ فقالت : لا أعرفه ، وأوصاني ألا أذكر عمله لأحد .. فبأنى عمر في اليوم التالي ، ويخيه وراء صحرة ليرى من حي بأنى في حده ، يقوم به . يعمل . أندرون من كان هذا ؟ إنه أبو بكر الصديق . فخرج له عمر من وراء الصحرة وقال له : أنت يا خليفة رسول الله ؟ ! لم يرسل هذه بكلمة الخالدة . « ما سابقت - بكر خير إلا سبقني » !

فهذه حادثة من آلاف الحوادث التي سادت المجتمع الإسلامي الكريم . وحايقة ووزيره يتساهلان لخدمة المرأة عجوز أقعدما الحرم ، ويفتح كل منهما مع الله دفتر توفيقه للحسنات ليكون له الرصيد الأعظم عند الرحمن جل جلاله ﴿ مَا عَدَدَ يَفْقَدُ وَمَا عَدَدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [الحل : ٩٦] . ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠]

فألهم اجعلنا من جنودك المخلصين الذين يستمعون القول فيستمعون أحسنه ، وصل إليهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

## القرآن واثره في تربية الأخلاق

ليس هناك من طريق للنجاة أعظم من كتاب الله الذي علم المسلمين أعظم الصلوات وأجلها ونستعرض هنا على سبيل المثال - لا الحصر - بعض تلك الصفات .

• لقد علمهم الأمانة : فقد قضى الإحساس برعاية الله على جميع روائس الجاهلية في نفوس المؤمنين ، وطبعهم بطابع رباني فريد كله خشية لله ومراقبة له وابتغاء مرضته . وما يروى في ذلك : أنه لما دخل المسلمون المدينة وجمعوا الأمانات ، أقبل رجل يحمل معه ، فدفعه إلى صاحب الأمانات ، فقال للذين معه : ما رأيها مثل هذا فقد ما يحمل ما عهدنا ، ولا يقاربه ، وقالوا للرجل : هل أخذت منه شيئاً ؟ قال : نعم والله لو لا الله ما أتيتكم به فعرفوا أن للرجل شأنًا ، فسألوه : من أنت ؟ فقال : ذوات لا أحركه نحو موسى ، ولكني أحمد الله وأبني شربه . فأنعموه رحلاً حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه ، فإذا هو عامر بن قيس .

• كذلك علمهم الإسلام التسامح ، وأكد هذا المعنى في موسمهم فلا شجاء ولا بغضاء : فهنا عليه بن يزيد - رضي الله عنه - لا يقوى على الجهاد ، فيقوم من الليل يصلي ، ثم يتوجه إلى رافع السماء بلا عمد . ودموع الاعتذار تفيض على خديه ، فمادى قال في اعتذاره لربه ؟ قال : اللهم إني قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ، وأنت تعلم أنني لا أملك ما أتقوى به على الجهاد ، وليس عند رسولك ما يحملني عليه . فالتهم أشهدك أنني قد تصدقت على كل مسلم ومسلمة بكل مظلمة ظلمني بها في نفسي أو مالي أو عرضي .

ومى الصباح يذهب إلى رسول الله - ﷺ - ويقف الرسول بوجهه المستنير كأنه قطعة قمر وهادي : أين المصدق الليلة الماضية ؟ • مسكت • عليه • فيكرر الرسول - ﷺ - السنداء ، فيقول • عليه • : أنا يا رسول الله ، فيقول له سيد الخلق وحبيب الحق : • أيتها الله كتبت صدقتك في الزكاة المفبولة • .

إنها السماحة في أجل معانيها ، وإبه العفو والصمغ الجميل .. يتصدق بكل مظلمة

على كل مسلم ومسلمة ، وبالك كان نوع هذه المظلمة ! إنها روح القرآن • وبها يفتحنا تقدسية • وإبه خاتمة الرغبة .. جميل في كل شيء : لى صفحه جميل • وصمغ الصفح الجميل • ول صدق جميل • فاصبر صبراً جميلاً • وحتى في هجره جميل : • وأهجره هجراً جميلاً • .

• وغرس لهم القرآن روح نغزة مهما أدهمت الخطوب ، وصار الحصب قادحاً .

• منها هو : سعد بن أبي وقاص - قبل واقعة القادسية - يرسل • ربي • من عامر • إلى • ربه • قائد جيوش الفرس وأمرهم ، يدخل عليه وقد ربنوا مجلسه وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل • ربي • بثياب صفيفة وفرس قصيرة ، • • يزل راكبه حتى دخل • عرف السط • ثم يزل • ربه • يمسك تلك الحساند ، وأمن عليه وساء سلاحه ، نزع ويضعه من رأسه . فقالوا • • صمغ سلاحك • فقال • • بن م أنك • وإنما دعيتوني ، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت ، فقال رستم : دعوه . فأقبل يتوكأ على رغبه . مسأله • رستم • : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة عباء إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام • .

إنه مرة النفس عهد تكرر فتوة العبد ، وإبه عزة الإسلام ، عهد تكرر فتوة الحبيب الآخر • • مرة التي • • فيها عمر - رضي الله عنه - • • لقد كما أدناه ، فأعزنا الله بالإسلام ، فإذا ابتغينا نغزة في غيره أذلنا الله • .

• صمغ هذا كتاب أصل الصفات وأرفعها ، وأقواما وأفرمها وأظهرهم وأركام : ألا وهي صفة الصدق ، كما أمرهم بذلك النبي العظيم في قوله : • عليكم بالصدق • ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً • • وحارهم من الكذب فقال : • وإياه • والكذب : فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً • • وقد مثل رسول الله - ﷺ - : • أكون المؤمن كذاباً ؟ فقال : • لا • وقد طلب من أحد العصابة نصحه فقال : • لا تكذب • .

• علموا أن الصدق منجاة مهما اشتد الخطر ، ومهما كانت العوامل المترتبة عليه • .

فصدقوا .. وما أنذا أقدم أسناداً في علم الصدوق يتحدث إليما لي أخرج المواقف وأشد الظروف : إنه كعب بن مالك - رضي الله عنه - أحد الثلاثة الذين حمىوا : ولأسفل بهم الآن إلى كعب ، وهو مجلس أمام سيدنا رسول الله - ﷺ : الرسول يسأل وكعب جب ، فلنسمع من القصة ما أكملها :

قال كعب بن مالك : لم أتخلف عن رسول الله - ﷺ - في غزوة غزاهما قط إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحد تخلف عنها ، وإنما أخرج رسول الله - ﷺ - يريد غير فريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله - ﷺ - ليلة العبة حين تناقشا على الإسلام ، وما أحب لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر ، وكان من حربي حين تخلفت عن رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك ، أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما جمعت قبلها واحنتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، وكان رسول الله - ﷺ - كلما يريد غزوة يفرزوها إلا وري بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، ففرز رسول الله - ﷺ - في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومناوئ ، واستقبل عدواً كثيراً ، فجعل المسلمين أمرهم لينأهوا أهبة عدوهم ، فأخبرهم وجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله لا يجمعهم كتاب حافظ ، يريد الديوان ، قال كعب : فقل رجل يريد أن ينجب إلا ظن أن ذلك سيخفى عليه ، ما لم يتزل فيه وحى من الله - عز وجل - ، وغزا رسول الله - ﷺ - تلك الغزوة حين طابت الثار والظلال ، وأنا إليها أصغر ، فتجهز إليها رسول الله - ﷺ - والمؤمنون معه ، فطفت أعدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أفض من جهازي شيئاً ، فأقول لنفسي : إلى قادر على ذلك إذا أردت ، فلم ذلك يتأدى لي حتى استمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله - ﷺ - غادياً ومسلمون معه ، ولم أفض من جهازي شيئاً ، وقلت : أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه ، فغدوت بعدما فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أفض من جهازي شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أفض شيئاً ، فلم يزل ذلك يتأدى لي حتى أسرعوا ، وتفرط الغزو ، ففهمت أن أرتحل فألحقهم ، ولبت أن فعلت ، ثم لم يقد ذلك لي فطفت إذا خرجت لي الناس بعد رسول الله - ﷺ - يجرى أني لا أرد إلا رجلاً مفصلاً عليه في النفاق ، أو رجلاً ممن علوه الله - عز وجل - .. لم يزل رسول الله - ﷺ - حتى بلغ تبوك . فقال وهو جالس في القوم بتبوك :

ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : جسه يارسو - لله مرداه ومطر في عطفه . قال معاذ بن جبل : بلسماء قلت والله يا رسول الله ما سمعنا عنك إلا خيراً فسكت رسول الله - ﷺ - . قال كعب بن مالك : مما سمعنا من رسول الله - ﷺ - قد نوحه فذللاً من تبوك ، حضري شيء ، وطمعت في كبر الكذب وأقول : ماذا أخرج من صحفته عند ؟ وأستعين على ذلك بل دي رأى من أبي . فلما قيل إن رسول الله - ﷺ - قد أتى قادماً زاح عن البائل ، وعرفت أني أبلغ منه بشيء ، فأخبرت صدق ، فأصبح رسول الله - ﷺ - ، وكان يد منه من مصر ، يا سمحده فمصر ركض ثم حبس حبس ، فلما فعل ذلك حذره المحبوس فمضوا يمشرون إليه وخشعون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منه رسول الله - ﷺ - . علايتهم ويستغفر لهم ويكل سرالهم إلى الله تعالى . حتى جئت ، فلما سلمت عليه تسعة تسعة الملقب ثم قال لي (تعال) ، فجلت أمشي حتى جلست بين يديه ، فذكر لي : ما حلفك ؟ ألم تكن قد اشتريت طهراً ؟ ، فقلت يارسو - لله ، لو حبس من غيرك من أمم الدنيا لمأيت أن أخرج من صحفته بعدد ، مد أعصيت جدلاً ، وكفى والله فقد علمت لأن حدثت اليوم بحدث كذب ترصني به عني يوشكن الله أن يسخطني عني ، ولئن حدثت بك بصدق تجد عن يميني إن لأرحم عني من الله - عز وجل - : والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . قل : فقال رسول الله - ﷺ - : أما هذا فقد صدق . فقم حتى يلقي الله فبك ، فقم ، وقام إلى رجال من بني سلمة واستعوى . فقام رسول الله - ﷺ - ، فلما سمعوا من هذا ، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت من رسول الله - ﷺ - . ما اعتذر به المخلفون ، فقد كان كاهلك من ديبك استطاع رسول الله - ﷺ - . لست . قال : فوافقه ما زالوا يؤثرون حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي . قال ثم قلت له : هل لقيت معي هذا أحد ؟ قالوا : نعم ، ثلثه معك رجلاً ، فلا متي ما قلت وقيل ما مثل ما قيل لك ، فقلت : فمن هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع العامري ، وهلال بن أبيه الواقسي . فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً في فوجها أسوة

وهذا الحديث بقية حيلة تروى ما عناه هؤلاء الثلاثة من مرارة وعذاب لمدة خمسين يوماً من رسول الله - ﷺ - . فيها عن كلامهم وأمرهم باعتزال سائلهم حتى نزل



## عواقب الإعراض عن ذكر الله

من فضائل القرآن العظيم : تلك القصبة التي سجلها كتاب الله الكريم من بدء الخليقة إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضكاً ، وعشره يوم القيامة أعمى ﴾ [ طه : ١٢٣ ] .

إن ذوى الألباب المستمرة ، وأولى أئمة المستورة . إذا ما طرحوا هذه القصبة على سباط البحث ، وغفلوا عن فكرهم ، وفقدوا زناد عقولهم : وحملوا النسيئة ، فالتاس فرهبان : فريق اتبع الهدى . وفريق أعرض عن الذكر .. فريق اهتدى . وفريق غوى فهو .. فريق سلك الطريق المستقيم ، وفريق تفرقت به السبل فضاغ في بياء الحياة . وترتب على كل من الفريقين نتائج مضمضة . ولقد تكلمت .. فيما سبق .. عن نتائج الفريق الأولى : فريق المهتدين ، وقلنا إنها لا مجموعها تدور حول هذه الأمور التي سجلها الكتاب العزيز :

١ - لا خوف عليهم .

٢ - ولا هم يحزنون .

٣ - لا يضل .

٤ - ولا ينسى .

ثم تأتي نتائج ترتب على سنوك الفريق الآخر ، فتسجل سورة البقرة : هذا الفريق الذي يقابل فريق المهتدين بأنهم الذين كفروا وكذبوا بآيات الله . قال حل شأنه : ﴿ فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [ البقرة : ٣٩ ] .

فهذه الآية المقابلة لآية الهداية تسجل على الفريق الآخر - إذا أدى به إعراضه إلى الكفر والتكذيب - تسجل عليه الخلود في النار ، لأن الإعراض والعروف عن اتباع الهدى - هدى الله - قد يكون طريقاً إلى التكذيب بآيات الله ، أو استكبار عن أمره ،

فيهم قول الله - عز وجل - : ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد يزيع قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه به رءوف رحيم ﴾ [ الآية ١ ] . قال كعب : فواته ما أنعم الله على من عمة فقد بعد أن هدانا للإسلام ، أعظم بنفس من صدق رسول الله - ﷺ - يومه أن لا تكون كنت وأهلك كما حدث للنبي كعبه ، فإن الله - تعالى - قال للنبي كعبه حين أمرل موحى شر ما قال لأحد حيث قال حل شأنه ﴿ سيعلمون بالله لكم ذا انقسم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا منهم إنيهم رجس وأوأهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ... ﴾ [ النورة : ٩٥ ] الآية .

إن البيان بجز ، واللسان بكل ، والبلاغة تسلم أعتبا ، والقلب يفتح أمام هذا الحراب المقدس ، ولا يهد الإنسان تعبيراً يعبر به عن هذه التربية إلا أن يقول : لا نجيب ، فإنهم أصحاب محمد - ﷺ - نهلوا من منله المذب وتعلموا في مدرسته العظمى أن الصدق صفة من صفات الله ورسوله ، فضجتموا هذا البلاء العظيم : هجر خمسين يوماً ، وهجر نسايتهم ثم بعد أربعين يوماً ، ونكر المجتمع فيه حتى ظنوا أن الأرض التي يمشون فوقها قد تكثرت هي الأخرى بعدما ضاقت عليهم بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ١٢ إنها رقابة الله عليهم ، إنها قلوبهم السليمة وصانهم البهظة بقبه الإسلام فصدفوا لأن الصدق منجاة .

صلى الله عليك الله بأعلم الهدى وعلى ال بيتك الأضهار الأبرار وعن أصحابك أحيار ومن اتبعك بإحسان إلى يوم الدين .



وما وعى ، والبطن وما حوى ، ولكثر من ذكر المقابر والبل ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا .

لم يقول - <sup>جنته</sup> : ه الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها ، وغنى على الله الأمان .

هكذا دخل آدم وزوجه الجنة ، وهكذا أكلا من الشجرة . وهكذا هبطا إلى الأرض ، لمناذج مختلفة ، والحياة صراع مستمر ، وعراك دائم بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل .

لقد صدر الحكم من الله أن تحى البشرية في هذه الأرض ، وتموت فيها ، وتخرج منها يوم القيام . قال الله تعالى : ﴿ قال لها تموتون ، وفيها تموتون ، ومنها تخرجون ﴾ . وقال أيضاً : ﴿ منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ [ طه : ٥٥ ] .

ولقد تدارك الحق بلطف بره أهل الأرض ، فكان من مظاهر لطفه بهم أنه وهبهم عقلاً ، ومنحهم حواس وقوى ، ووهبهم فطراً ، وبعد ذلك لم يتركهم هملأ . فقد نجل لطفه بهم ، فأرسل لهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [ النساء : ١٦٥ ] . وشاعت رحمة أن يكلف المباد بأمور في حدود طاقته : ﴿ يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ﴾ . ﴿ وما جعل عليكم الدين من حرج ﴾ [ الحج : ٧٨ ] . ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ [ النساء : ٢٩ ] .

فلو أن المباد تركوا وشأنهم يشرعون لأنفسهم ما غلبه عليهم عقولهم : لوفعوا في حيرة الغلاء ، واضطهدوا بفلاء الحيرة . فالعقول مختلفة متصارعة متنافسة ما يراه هذا حسناً يراه غيره قبيحاً ، وما يراه هذا عدلاً يراه غيره ظلماً ، وما يعتقد هذا حقاً قد يراه غيره باطلاً ، وبين هذا التضارب في هذا الخضم المتلاطم بهوى البشرية في قاع المحيط ، ومن هنا جاء القانون القرآنى الخالد : ﴿ قال ابطأوا جميعاً ، بعضكم لبعض عدو . فإما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ .

كذلك من مظاهر لطف الله بهباده أنه رفع القلم عن ثلاث : ومن العصى حتى اغتم ومن الخمر حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ . ورفع - خفناً والسبيل وما استكرها عليه ، فليس لأحد بعد ذلك أن يرمى أحكام الله به لا يلقى بها .. فالأحكام عادلة ، والشرعة صحيحة ، وطريق الإسلام أبلج على الحق ليضاء .. ليلها كبرها .

لها احنا الإسلام :

ترود من القوى فإنك لا تدري إذا جن ليل : هل تمشي إلى الفجر  
فكم من فنى أمسى وأصبح ضاحكاً وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري  
وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر  
وكم من صغار يرتحن طول عمرهم وقد أدخلت أحسادهم ظنمة الفجر  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## توجيهات ربانية

انظر إلى لطف الله بعدما حكم للبشرية أن تعيش في هذه الأرض . حافظ آدم .  
آدم . وقال ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباساً يوارى سوءاتكم وريثاً . ولباس  
التقوى . ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ [الأعراف : ١٢٦] .  
ما نزلت البشرية هذا الشر الذي أورد الله أن يستمر سويتها به ، وإنما هي به .  
تحتل إلى الحفيظ ، لأن الرسول - ﷺ - حذر من العري فقال : « إياك  
والعري ، فإن معكم من لا يفارقونكم إلا عند الحاجة ، وعندما يفضي أحدكم إلى  
أهله ، فاستحيوهم وأكرمهم » حتى سمع من آدم - ﷺ - أنه أمر الرجل أن يست  
إذا أتى أمه ، قال : « إذا أتى أحدكم أهله فليستره » . ولو خلا الإنسان نفسه معه  
يستر أن يستر ، كما أخرج رسول - ﷺ - بأن الله يراك ، والله أحق أن يستحي  
منه ، ثم يأتي لباس التقوى وهو السلاح الأقوى .

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى فقلب عرياناً ولو كان كاسياً  
وحير لباس المرء ، طاعة ربه ولا غير في من كان لله عاصياً

ولقد حذر رسول الله - ﷺ - رجلاً من النساء لا يثبت ربح الخنة ، ويصحب  
نهن كاسيات عاريات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت ، لا يجلن الخنة  
ولا يجدن ريعها فإذا ما عصت المرأة ربه ، وألفت نوبها في غير بيت زوجها - مرت  
مها ذمة الله .

أما إذا صلت بحسبها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ،  
قبل لها يوم القيامة : ادخل الجنة من أي أبوابها الثمانية شئت أ

ثم يأتي الموقف الذي بعد هبوط آدم من الجنة حيث يذبح القرآن الكريم هذا التحريم  
الشديد . ﴿ يا بني آدم لا يفتككم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة يزرع عبها  
لباسهما ليربهما سوءاتهما . إنه يراكم هو وقيله من حيث لا ترون » [

[الأعراف : ٢٠]

وهذا مصباح منير يفتح العاذر للعباد أمام الله . يقول جل شأنه في بعض مواقف  
القيامة : ﴿ واستأزوا اليوم أيها المجرمون . ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان  
إنه لكم عدو مبين . وإن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ [يس : ٦١] .

بل إن الشيطان نفسه سيفتح على مسرح القيامة ويصبح : ﴿ إن الله وعدكم وعد  
الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن أدعوتكم ، فاستجبوا  
لي ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرعي . إلى كفرت  
نما أشركتمون من قبل ، إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ [براهيم : ٢٢] . وقال جل  
شأنه : ﴿ فلما تراءت الفتنان لكفى على عقيه ، وقال إلى برىء منك . إلى أرى  
ما لا ترون . إلى أخاف الله ، والله شديد العقاب ﴾ [الأنفال : ٤٨]

وقال سبحانه : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إلى برىء  
منك إلى أخاف الله رب العالمين ﴾ [الحشر : ١٦] .

ولم يكن التحذير قاصراً على شيطان الجن وحده ، بل الشيطان على شتى صورته  
إنسياً كان أو حياً . لقد مثل أحد العارفين بالله : أيها أشد عليك ؟ فقال : شيطان  
الإنس . لأن شيطان الجن إذا استعدت بالله ولي هارباً

لذلك يقرن القرآن الكريم بين الشيطانين مقدماً شيطان الإنس في قوله تعالى  
﴿ وكذلك جعلنا لكى نبي عدواً شياطين الإنس والجر يوحى إليهم إلى يعص  
رغرف القول لغروا ﴾ [الأنعام : ١١٢] . وذكر العلاج عند نزاع كل منهما . قال  
في سورة الأعراف : بين علاج شيطان الجن : ﴿ وإما يمزغتك من الشيطان فزع  
فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ . وقال في شيطان الإنس : ﴿ خذ العفر ، وأمر بالعرف .  
وأعرض عن الجاهلية ﴾ . قال رسول الله - ﷺ - لما نزلت هذه الآية : قلت  
باجبريل أخبرني عنها ، قال : لا أفردى حتى أسأل رب العزة . ثم حفظ على سيدنا رسول  
الله - ﷺ - فقال له : « أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن  
ظلمك » .

وفي سورة المؤمنون) يقول الله تعالى في دواء كل منهما : يقول في علاج شيطان  
الإنس : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة ، نحن أعلم بما يصفون ﴾ [المؤمنون : ٩٦]

ويقول في علاج شيطان الجن : ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ .

ويقول في سورة ( فصلت ) في علاج شيطان الإسر : ﴿ ولا تسعوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا . وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [ فصلت : ٣٥ ] ، وفي علاج شيطان الجبر في نفس السورة : ﴿ وإما ينزغك من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ [ فصلت : ٣٦ ] .

والقارئ الكتاب الله المتين لآيات نجد إذاعة القرآن الكريم لا تكف عن إصدار بياناتها ضد لشيطان وأعماله ، معادما بقول القرآن الكريم : ﴿ إن الله لا يعمر أن يشرك به ، ويفتر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ يحذر من هذه النقطة الشيعة وهي الشرك ، ثم يرفع الستار ، ويكشف النقاب عن نشاط الشيطان في هذا المجال ، فيقول جل شأنه : ﴿ إن يدعو من دونه إلا أنا ، وإن يدعو إلا شيطاناً مريداً لعنه الله ﴾ . ثم بعد ذلك يبرز أمام العيون ما قاله ذلك الرحيم حتى لا يكون سراً مكتوناً في ضمير الغيب فيقول سبحانه : ﴿ وقال لأخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ﴾ [ النساء : ١١٨ ] ، ثم يبيح الشام بعد ذلك عن الضرف التي يأخذ بها ذلك النصب المفروض ، فيقول جل شأنه : ﴿ ولأضلنهم ولأمننهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأعمام ، ولأمرنهم فليهيئ خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً . يهديهم ويمنيهم وما يهديهم الشيطان إلا غروراً ﴾ [ النساء : ١٢٠ ] .

ثم يعبر الحكم الحاسم الحازم لأنواع هذا الصال المضل من الشياطين فيقول : ﴿ أولئك مأواهم جهنم ، ولا يخرجون عنها أبداً ﴾ [ النساء : ١٢١ ] .

ثم تأمل جلال القرآن وجماله وهو يؤكد عداوة الشيطان للإنسان فيقول : ﴿ وكان الشيطان للإنسان عدواً ﴾ ثم يقول : ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ . ثم يؤكد هذا الخطاب فيقول : ﴿ إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدواً ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ .

وبه تحريف البشرية عن طريق الله ، فإن الشياطين تصور ضم مزبنة . وبصيرور لها متبعين وتقوم بين هؤلاء وأولئك ولاية وصلة . اسمع إلى كلام الله وهو يقول في حزن الشيطان : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ [ الأعراف : ٢٣ ] .

وحين تقوى هذه الرواية بين الفريقين يلقى الشيطان من السنة أتباعه أصحاب الباطنة وأمره والكذب : لقد كذب العرب في جامعتهم يطوفون بالبيت عراة الأحسد - نساء ورجال - فبد سفوا من ذلك قالوا : هكذا كان يفعل آباؤنا والله أمرنا به ، يتم شعور هذا يقول بعض هو أفتح من الذئب فضأوا : إن ثياب هذه التي ضمت بها الحفنة ، بعدس ، لا يبين أن يحرف . الإرجاء يتصدى هذا القرآن فيحفظ حججهم ويحرف شبههم . فيقول تعالى : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آية ، والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء . أتقولون على الله ما لا تعلمون . قل أمر ربنا بالتقسط . وأتبعوا وحوكم عند كل مسجد . وادعوه لمخلص له يدعي ، كما بدأكم تعودون . فليقل هدى ، وفريقا حق عليهم الضلالة . إنيهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله . ويعسبون أنهم مهتدون ﴾ [ الأعراف : ٣٠ ] ، ثم يصر ما فتنه فيقول : ﴿ يسي آدم حذوا زيتكم عند كل مسجد ﴾ [ الأعراف : ٣١ ] .

وبه تحريف البشرية بين الشيطان لها سوء عملها فراه حسناً ، فتصد عن سيئته . قل جل شأنه : ﴿ وزين هم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يبينون ﴾ [ النحل : ٢٤ ] . وفي جل شأنه : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ﴾ . ويومها أيضاً سيصد لها انت ضار شباهه وحباله فتبته .. يقول جل شأنه : ﴿ فهل عسيه إن توليتم أن تفسدوا الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ .

ونقد آلى شيطان عن نفسه ألا ينفق موقف النصيح لأي مؤمن . فقد جاء في كتاب « تلبس إبليس » للإمام بن الجوزي ، أن يحيى ابن زكريا عليها السلام رأى الشيطان ذات يوم فقال له : « أعدك ما تستطيع أن تشغلي به ؟ » قال الشيطان : « لا أجد إلا أن تأكل كثيراً وتشرب كثيراً فتنام كثيراً وتأخر الصلاة عن وقتها . قال يحيى - عليه السلام - : « لا أشبع بعد اليوم قط » . قال الشيطان : « وأنا لا أنصح بعدك أحداً » .

## من اعرض عن الله سلك طريق الشيطان

إن نتائج الإعراض عن ذكر الله تجل عن الحصر لأن مسالك الشيطان مع الإنسان متعددة . وإليك تفسير ذلك :

إذا كان الله - تعالى - يقول : ﴿ إنه يراكم هو وقيله من حيث لا ترونهم ﴾ فليست الرؤية هنا قاصرة على رؤية العين ، وإنما تعداها إلى الرؤية السمعية . أى أن الشيطان يعلم المسالك التى يدخل بها عليكم من حيث لا تعلمون مسالكه ومسالك فيله . وللشيطان من المسالك الكثير المتنوع : هو ثالث أشركين إذا حان أحدهما الآخر ، وهو الثالث للرجل والمرأة الأجنبية إذا خلا أحدهما بالآخر ، وهو الواقف أمام الإنسان إذا أراد أن يتصدق ، بعده بالفقر ، ويأمره بالفحشاء وهو الدفع للإنسان إذا طلق زوجته صباحاً أن يأتيها مساء ، وهو الذى يوقع العداوة والبغضاء بين الناس في الخمر والنيسر ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهو الذى يقف أمام فاضل الخير فى أى وجه من وجوهه يدعوهم إلى عبادة الدرهم والدينار والخميمة . يقطع الرحمة ويزيد العلاء ، وهو الذى يقف أمام مجاهد يذكره بماله وولده وزوجه ، يقول : أتلقى بمفلسك فى أفلاك وتترك مالك وأهلك وولدك ؟ وهو الذى ينسى الإنسان أوقات الصلاة ويلقى عليه بالكسل ، فإذا ما دخل الإنسان الحلاء ذكره بربه ، وحاول أن يلقي بآيات الله على لسانه فى مكان لا يليق فيه ذكر الله ، وهو الذى يرسل موجاته طويلة الملبنة بالسواوس ، يعرض الدنيا أمام الإنسان ، وهو واقف بين يدي الله فى الصلاة ، ولذا قال موسى - عليه السلام - : « يا موسى تذكرنى ولا تنسنى ، إنك إن ذكرتنى شكرتني ، وإن نسيتنى كفرتني » . قال تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون ﴾ [ البقرة : ١٥٢ ] .

ولقد ساق صاحب كتاب « تلبس إبليس » والعلامة ابن كثير فى معنى قول الله - تعالى - : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك ، إلى أخاف الله رب العالمين ﴾ [ الحشر : ١٦ ] .

وجاء فى هذا الكتاب أيضاً أن بعض الصالحين سأل الشيطان : كيف حالت اليوم مع الناس ؟ فقال الشيطان : كنت بالأمس أعلمهم ، ونكتى صرت اليوم أنعم منهم ! ولا عجب فقد قبل لأحد العارفين بالله : هل يكف الشيطان عن الفجوة ؟ فقال : إذن لا سترحنا .

اللهم احفظنا بحولك وقوتك من الشيطان الرجيم واجعلنا من عبادك المخلصين .  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

سائلاً أمثلة تكاد تنفطر لما الأكيد لكيد الشيطان : قال العلامة ابن كثير في رواية عن ابن جرير عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : إن راعياً تعبد مئتين سنة ، وإن الشيطان أراد أن يأخذه ، فعبد ابن امرأة فأخذه ، وبما أخذه ، فقال لإحوتها : عليكم بهذا الرأف فبدلوا ، قال : فجاءوا بها إليه ، فداوواها ، وكانت عنده فيها هو يوماً إذ أعينته ، فأتاها ، بعد أن أغراه الشيطان ، فحملت ، فعبد إليها فقتلها ، فجاء إحوتها ، فقال الشيطان للرأف : أنا صاحبك ، أنت أميتي ، أنا صنعت هذا بك ، فأطعني أنتيك مما صنعت بك ، فاحذر من عهده ، فاستجاب له ، قال : فإني نرى ملك ، إلى أحاف الله رب العالمين ﴿ ( الحشر : ١٦ )

وفي قوله تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ [ الزخرف : ٣٦ ] ، نجد الكثير من الكوثر الربانية : فالشيطان إذا تمكن من الإنسان قد يصحح الإنسان أستاذ له ، ويصحح الشيطان قائده : ألم تر يا أخى إلى ذلك العالم من سى إسرائيل وبدعى به بلعام من ماجورا ، كان حراً كثيراً ، ومع من معه من الله موسى به أن أرفده إلى أهل مدين يدعوهم إلى الله ، ويصنع لهم طعاماً طيباً ، ومرشداً ومادياً ، ويقبض الشيطان منه عدواً عيباً ، ومفسداً وحسداً لله ، وأما فعلى أهل مدين أن يقدموا له المال في سبيل أن يكف عن هذا شكاه ، ويترك مسمى ودعوته ، فيعرضون عليه المال ، وما أدراك ما المال ؟؟ سلاح قتال . فمذهب ربه الذي يلعب بالفتن ، وللنفقة رهنها الذي يسيل له لعب الضملاء . وتمكن الإغواء والإغراء من قلبه بلعام ، فسل المال ، وترك الدعوة ، وجفا موسى وربه

وسجل القرآن هذا المصير بيقينه فحسب الرسالة العصاة ، فيكون فيه انقل وانعرة ، قال جل شأنه : ﴿ واتل عليهم ما الذى آتينا آياتنا فانسلك منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثل كمثل الكلب ، إن عمل عليه بلهث أو تركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا . وانفسهم كانوا يظلمون ﴾ [ الأعراف : ١٧٧ ]

اقرأ هذا المشهد من القرآن ، فيه مدرة تفسد البشر ذرواً لا تسمى ، ونقص عن الناس العبرة الأولى الأكلاب . إنه ما الذى آتاه آياته فانسلك منها ، بعد عد قوله

- تعالى : ﴿ فانسلك منها ﴾ فإن هذه الكلمة أثرها الكبير ، ومغزاها .. في يقل الكتاب العزيز فانسلك منها ، أو فكرها وإنما قال : ﴿ فانسلك منها ﴾ والسخ كما يقولون . كشط الجلد عن اللحم . فلو أن هذا الرجل انفصل عن الآيات أو تركها ، لكان من خاتمة يعود إليها يوماً ، ولكن لفظه الأسلاخ ، أفاد أن عودته إليها أمر غير محتمل . كما لا يمكن أن يعود الخس إلى اللحم بعد سلخه ، كذلك أفاد هذا اللفظ أن آيات الله كانت تربته وتبده للناس جيلاً في طعنه ومهاته ، كما يزيد الجلد لحمة . فلما انسلخ من الآيات أصبح فريداً دميماً ، كما يبدو اللحم بعد كشط الجلد عنه .

وبعد هذا اللفظ أيضاً أن آيات الله كانت تحميه من عوادي الزمن كما يحس أجند لحمة . فلما انسلخ منها أصبح عرضة للعوادي وعوامل الإغواء . سببه الشيطان في دأب من حبرائه أنه ألقى نظرة أخرى على قوله تعالى : ﴿ فأنعمه الشيطان ﴾ وكيف جاء لعطف بالغاء - التي تعيد الترتيب والتعقيب - كأن الشيطان انتبهها فرصة بمجرد أن نسلخ هذا الإنسان من الآيات فأنعمه .

ثم ارجع البصر كرتين في قوله تعالى : ﴿ فأتبعه الشيطان ﴾ ولم يقل تتبع الشيطان فب في هذا ترتيب عزة بالغة : أى أنه لتأصل العوادة في قلبه أصبح متبعاً والشيطان تبعاً ثم تنقل بعد ذلك في قوله تعالى : ﴿ فكان من الغاوين ﴾ وكيف جاء التعريب . كان . التي تهدد لكبونة والاستقرار دون أن يؤدي . بأصبح . فو . صار . كأن هذا الذي من : استقر في العوادة والصلال : ثم انتقل إلى الآية التي قلبها وتأمّلها بعدد سلك هذا من الآيات وعندما صار الشيطان له تابعاً ، وهو أستاذ له ، وعندما استقر في العوادة - تحت خشيته لإلهية بعد ذلك أن الله تعالى لو شاء لرفعها بالآيات ، ولكن حتى حدث له لم يكن عنده أى استعداد لأن يرتفع بالآيات ، بعدما رضى بالحياة الدنيا ، واضطرب . ولكن إليها ، دون أن يكون هناك صبر يؤس . ونفس تنوم .

ومن عموه حصر ونسوة العاصفة ، نامت الشمس غي هدمه الشهرة ، ودهت وارع الخوف من الله فب : وما أجل هذا التركيب القرآني في أهل طبقاته عندما يمر عن الدنيا بأنها الأرض فيقول : ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾ [ الأعراف : ١٧٦ ] ، دون أن يقول : ولكنه أخلد إلى الدنيا ، فالدنيا والأرض صنوان متلازمان لا أمكن

لمن ركن إليها ، ولا اطمئنان لمن تسرب حبها إلى قلبه وملكت عليه أفعاله  
نفسه .

ثم انظر : كيف استحكمت حلقات الغواية حول هذا الدى سفت وهو ، وكيف  
أحاطت به من كل جانب ؟ إنه بعد أن مال إلى الأرض مطمئنا لما قلبه : اتبع هواه ،  
وما أدراك ما الهوى ! إنه نوازع النفس إلى مسالك الشر . وهوى العسر قد أعيا الطيب  
المداوى . ومن ثم فالقرآن الكريم يحذر من اتباع الهوى ، ومن طاعة من اتبع الهوى  
قال تعالى في حق المشركين : ﴿ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا هِيَ إِلَّا ظَنَنَّا ﴾ [النجم :  
٢٣] ، وقال جل شأنه ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاخْلُكْ بَيْنَ النَّاسِ  
بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] ، وقال جل شأنه :  
﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا  
قَالَ أَنفَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٦] ، وقال  
عز من قائل في حق رسوله ﷺ : ﴿ وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النجم : ٣] . وفرغ  
بين غفلة القلب عن ذكر الله وبين اتباع الهوى فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أُغْلَا  
قَلْبِهِ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨]

ومن هذه المقدمات .

١- آية آياتنا فاسلح بها

٢- فأنه الشيطان .

٣- فكان من الغاوين .

٤- ولكنهم أخلدوا إلى الأرض .

٥- واتبع هواه .

فإنها تؤدي إلى نتيجة حتمية : إنها الحال المعجبة التي صورها الله في مثل : فقال  
جل شأنه : ﴿ فَمَطَّه كَمَطَلِ الْكَلْبِ ﴾ : ولكن الكلب في أي حال ؟ إن الكلب قد يكون  
أمنيا لا يعرف الخيانة لسيدة ، ولكن هذا أو أمثاله خانوا الله فأدغم الله . وهذا يذكرني  
بحادثة جرت أيام رسول الله ﷺ : فقد مر ذات يوم فوجد رجلا قتيلا بالطريق ،

سأل : من قتل هذا ؟ فقال : برسول الله : إن الرجل سفاه من سمى بين ربه .  
مخرج عليه كلب النعم فقتله . فمادما كان تعليق الصادق الأمين عن هذا الحادث :  
قال في حق القليل ثلاث كلمات يجب أن تكون تذكرا وتنبها أذلا وعية . قال : في  
نفسه . وأخاف دمه . وكان الكلب خيرا منه !

اللهم لا تزع فؤوسنا بعد إذا هديتنا ، واغنم لنا بالقبائل الصالحات أعمالنا . ومن  
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



## الهداية الربانية لا تستعصي على من أَرادها

وصف الله أهل النار بأنهم أضل من الأنعام ، لأنهم عطّلوا الاستماع بحواسهم وقلوبهم التي خلقتها الله لهم وجيهرهم بها . قال تعالى : ﴿ ولقد خسرنا جهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، وهم أعين لا يبصرون بها ، وهم أذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل . أولئك هم المفلون ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وهكذا : طلاب الدنيا ، والساعون لها ، المكذبون بأيات الله ، الغافلون المعرضون عن ذكره ، هم دائما في تعب : في لبسهم وديارهم ، وسحتهم ومرسهم ، وعاهم وفقرهم . إن أعطوا في الدنيا طلبوا المزيد ، وإن لم يعطوه فيها حزنوا وابتنأوا ، وغر الله والصبب والوصب بنفسهم : لو كان لأحدهم واديان من من لاسى لنا ، لأن جوفه لا يملأ إلا التراب ومن جاءت النسيبة العنية التي يروحها بعل العظمى في حديثه القديس الجليل : ابن آدم : عندك ما يكتفك وأنت تطلب ما يطعك ، لا بقليل نفع ، ولا من كثير تشبع ، إذا كنت معال في بدنك ، أما في سربك ، عندك قوت يورك ، فعل الدنيا العفاء .

قول كريم من رب كريم ، لا يعمل به ألا عبد كريم

النفس تجزع أن تكون فقيرة والمفقر خير من غنى بطمها  
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكميها

وسجل أستاذ الإنسانية الأكبر هذه الحقيقة عن الدنيا ، يقول : إن هذه الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، لينظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء .

كذلك يقول عن المال : إن هذا المال خضر حلو ، من أخذه بسخاوة نفس : يورث له فيه ، ومن أخذه باستعراف نفس : لم يوارث له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع .

إن ميزان النفس إذا كان ميبا على كثرة المال والعرض ، فهو ميزان غنى . وميزان معكوس ، لا يمكن أن تقوم به قيم ولا ترجع به كفة . إذا نظر الناس إلى المال وجعلوه أعمار لقيم الناس محكمهم غي صحيح وغير حائر : فلقد مر رجل غنى عن رسول الله ﷺ فقال الرسول ﷺ لأصحابه : ما تقولون في هذا ؟ قالوا يا رسول الله : هو حري إذا شفع أن ألا ينفع ، وإذا خطب ألا يكلج ، وإذا قال أن لا يسمع له ، فقال رسول الله : ه والله إن هذا خير من ملء الأرض مثل هذا .

ما أعد الله حكمت يا رسول الله . يا صاحب الخلق العظيم ، يا صاحب القلب رحيم . بارفع لواء الوحدة خفاقا عاليا ! شأن بين الناس والمشهور لديهم أن الدنيا : أفلت غل أحد ، خلعت عليه محاسن غيره فإذا أعرضت عنه : سلته محاسنته

يذل غنى النفس إن قل ماله ويغنى غنى المال وهو ذليل

هذه دروس في إحدى مدارس القرآن تلقياها ، وهو في ساحة الإسلام عرفها . ولذلك لم تكن الآيات قاصرة عنها غل واحد بعينه - كذلك العالمات سرائير - وإنما احكم شمل وعاء لمن توافرت فيه المشغصات ، لذلك ختمت الآية بقوله تعالى : ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾

ثم غف على ذلك الله تعالى نعمة به . كلمة الموحدة في مساهم ، الكثرة في معانيها ، التي تعبد اندم : ﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وأنفسهم كانوا يظنون ﴾ [الأعراف : ١٧٧] ، حق غل من توافرت فيه تلك المقدمات الخمسة أو يكون متبوعا ، والشيطان له تالعا .

ثم إن الله أثبت في هذه الآيات أن من كانت هذه حاله فهو الظالم لنفسه . لأن الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لأنصهم ﴾ [الأنعام : ٢٣] . ﴿ ولو شئنا لرفعناها بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾ [الأعراف : ١٧٦] ، ذلك لأن الهداية الربانية لا تستعصي على أحد إذا وحده هذه الاستعداد الموقد إلى الاستجابة لأمر الله ورسوله : فهذا عمر بن وهب - الذي كان يلقب بشيطان قرش - يقطع الطريق من مكة إلى المدينة بعد نهار ، والعزم والتصميم يدفعانه إلى قتل رسول الله ﷺ . فلماذا حدث بعدما وصل وجلس أمام سيدنا

رسول الله ﷺ ؟ لقد كان عنده فرصد وسبق إصرار على القتل ، ولكنه لما رأى الهدى : استجاب ، فهده الله ، وأصبح داعية يدعو إلى الله تبارك وتعالى .

لترك ابن اسحاق يروى بسنده المتصل إلى عروة بن الزبير ، قال عروة : جلس عمر بن وهب مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر يسير وكان عمر بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤدى رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب ابن عمر في أسارى بدر ، فذكر أصحاب القلب والمصابين ، فقال صفوان : والله ما لي العيش بعدهم خير ، قال له عمر : صدقت . أما والله لولا دين علي ليس عندي فضله ، وعالي أعشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم غلة : انى أسر في أيديهم . قال : فاجتمعت صفوان ابن أمية فقال : هل دينك أنا أم نصيبك ، وعمالك مع عيال ، أو أسيرهم ما بقوا ، لا يسمنى شيء ويعجز عنهم ، فقال له عمر : فاكته على شأن وشأنك ، قال : سأفعل ، قال : ثم أمر عمر بنفسه ، فشحذله وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عديدهم . إذ نظر عمر إلى عمر ابن وهب - ما جاء إلا لشر ، وهو الذي حرش بسا وحرر ما يقوم يوم بدر - ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ! هذا عمر بن وهب وقد جاءكم بموحس سيفه ، قال : فأدخله علي ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمض سيفه في عنقه ، فلبه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الحديث ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله ﷺ فضا رآه الرسول ، وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : أرسه يا عمر ، ادن يا عمر ، فدنا ، ثم قال : أنعم صباحاً - وكانت غيبة أهل المخاضية بينهم - فقال رسول الله ﷺ : - لقد أكرمنا الله بمحنة خير من تحمكت يا عمر ، بالسلام : تحية أهل الجنة . قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحدث عهد ، في الرسول ﷺ : ه فما جاء بك يا عمر ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى في أيديكم أحسنوا فيه . قال : ه فما بال السيف الذى في عنقك ؟ قال : فحبها الله من سيوف وهل أغت شيئا ؟

قال : ه أصدقنى ما الذى حدث له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك ، قال الرسول ﷺ : - هل قدمت أنت وصفوان ابن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القلب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً . فحمل لك صفوان بدينك وعمالك ، هل أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك . فقال عمر : أشهد أنك رسول الله . قد كذب رسول الله بكذبك بما كنت تأتينا به من خبر النساء ، وما ينزل عليك من نوحى ، وهذا أمر . فغضبه إلا أنما وصفوان ، فوالله إنى لأعلم ما أتتك به إلا الله ، وحسن الله الذى هداني للإسلام ، وسمى هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ : - ه ففهموا أخادكم في دينه ، وعلموه القرآن ، وأطفئوا أسيرهم . معمر . ثم قال : يا رسول الله ، إنى كنت جاعداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأد أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أودى في دينهم .

فأذن له رسول الله ﷺ - ، ففتح مكة . وكان صفوان حين خرج عمر بن وهب يقول : أنتمو بوفعة تأتيكم لآ في أبيه تنسبك بوفعة بدر ، وكان صفوان يسأل عن اركبان حتى قدمه راكب . فحبره عن إسلام عمر ، فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينمعه بلف أبداً . فلما قدم عمر - رضى الله عنه - مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤدى من خائفه أذى شديد فأسلم على يديه أناس كثيرون ، وفرح المسلمون حين هداه الله . وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : خزيير كان أحب إلى منة حين أطلع ، وهو البرء أحب إلى من بعض نبي وبعد أن قدم عمر بن وهب مكة - بعد أن أسلم - نزل بأهله ، ولم يبق بصفوان بن أمية ، فأظهر الإسلام مودعا إليه ، منع ذلك صفوان ، فقيل : قد عرفت حين لا يبدأ في قبل منزله أنه قد ارتكس وصفاً ، فلا أكله أبداً ، ولا أتمعه ولا عياله بنافعة ، فوقف عليه عمر وهو في الحجر وباده ، فأعرض عنه ، فقال له عمر : أنت سيد من ساداتنا ، رأيت الذى كما لي من عبادة حجر ، ودبح له . أهذا دين ؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله . فمد به صفوان بكلمة

﴿ فانتظر إلى آثار رحمة الله كيف ينجي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى ،  
وهو على كل شيء قدير ﴾ [ الروم : ٥٠ ] .  
وملى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### مسالك الشيطان وإغواؤه

فيما مضى تحدثنا عن النتائج التي رتبها الله تعالى على اتباع هذه ، وذكرنا أن الله تعالى نفي عن هذا الفريق : الخوف والحزن والضلال والشقاوة ، ثم عقبنا على ذلك بالكلام عن الفريق الآخر ، وهو المعرض عن ذكر الله ، ونكسنا عن النتيجة الأولى المترتبة على الإعراض ، وهي أن المعرض عن ذكر الله سالك لصريق الشيطان . وذلك كما جاء في حصص الكريمة : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ [ الزخرف : ٣٦ ]

واستدعى ذلك أن نيسط الكلام عن الشيطان وإغواؤه وطرقه ومسالكه ، وكيف المعصية منه ، وإنما بسطنا الكلام في هذا الباب ، لأنه الله جل في علاه رسم للبشرية طريقها منذ أن هبط آدم إلى الأرض ، ووضح مناهجها التي تسير عليها ، وذلك في قوله جل شأنه : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ [ طه : ١٢٣ ] .

ومن يوم أن أدهى آدم الجنة وسكنها ، والشيطان يحاول أن يرسل الوسواس ويختدق وإنخرج آدم من الجنة . فظهرت غداوته ، واتسحت حصونه لآدم وأهله من بعده ، فناسب ذلك أن نيسط الكلام عن الشيطان ومكائده ، وذكر العاقبة الوخيمة المترتبة على السير في ضريقه ، وأن الصالح مع الله هو طريق النجاة . ثم إن إبليس أشهر سلاح المعصية ، وأصر على ذلك واستكبر ، وتولى كبر هذه المسألة عندما أمر بالسجود فأبى ، ثم أخذ يتوعد بنى آدم - لإغواء والإضلال ، والقعود على الصراط لهم ، ومسالك الخير أمامهم ، فناسب ذلك التفضيل في تلك المقال : ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى عن بينة ﴾ . وكان هذا نتيجة أولى ترتيب على الإعراض عن ذكر الله ، وهو قوله جل شأنه : ﴿ نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ [ الزخرف : ٣٦ ] .

والآن نستطيع أن نتكلم عن نتيجة الثانية ، وهي قوله جل شأنه : ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ .



وذكر لوطا وقومه وكيف دعاهم إلى الإصلاح الاجتماعي ، ونفذ الرذائل ، فكانت النتيجة : ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا : أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون . فأنجاه راحله إلا امرأته كانت من العائرين . وأمطرنا عليهم مطرا ، فاستورا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ [ الأعراف : ٨٤ ] .

وذكر شعيبا وقومه . وكيف دعاهم إلى الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي وذكرهم بنعمة الله عليهم ، فماذا كانت النتيجة ؟ ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك بالذهب والذين آمنوا معك من قريتنا أو نعودن من ملتنا ، قال أولو كما كارهين . قد اتفينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذا نجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شيء علما ، على الله توكلنا ، وبما اتفق بينا وبين قوما بالحق ، وأنت خير الفاعلين . وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون فآخذهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثقين . الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغروا فيها . ان الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين . ففروا عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتي ونصحت لكم ، فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ [ الأعراف : ٨٨ - ٩٣ ] .

هذه دروس في التاريخ قصصها الكتاب الحكيم ووقائع أم مضيت وبقيت شواهدا وآثارها على الأرض . قال تعالى : ﴿ وإنكم لترون عليهم مصحين . وبالليل ، أفلا تعقلون ﴾ [ الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨ ] .

وبعدما قص هذه الدروس بين سنة الله الفائدة في خلقه ، وهي ثابتة لا تتخلف ، فقال جل شأنه : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ [ الأعراف : ٩٦ ] .

لقد حذر الرسول - ﷺ - من أمور قال في إحداها : « لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعطروا بها إلا فشا فيها الأوجاع التي لم تكن في سلافهم » ، وقال في ثانيها : « ولم يمتعروا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المونة وجور السلطان » .

والله تعالى يقول في الحديث القدسي الجليل : « أنا الله لا إله إلا أنا ، مالك الملك ، وملك الملوك ، قلوب الملوك في يدي ، وإن العباد إذا أطاعوا حولت قلوب ملوكهم » .

ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وإن العباد إذا عصوا حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والقصة ، فساموهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على ملوككم . ولكن اشغلوا أنفسكم بذكرى ، والطرب إلى : أكفكم ملوككم » .

اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان والإسلام ووفنا إلى ما فيه محبتك ورضيت وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

تحذر الرسول - ﷺ - من أمور أخرى تفيد وقوع البلاء بالخلق فيقول : « لا يزى الزانى حين يزى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .. ولما كانت الخمر أم الكبائر ، فقد كانت كلمات الرسول فيها كأنها الرعود القواصف .. فاسمع إليه يقول : « لعن الله الخمر وشارها وساقها ومتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها واعملة إليه ، وزاد : ( وأكل ثمنها ) .

وقد أئذ الرسول - ﷺ - وأوعد بأمر قد تحدث لقوم كفروا عن التمسك .. فاسمع إلى قوله في الحديث الشريف : « يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو ولعب ، يصبحون قد مسخروا قردة وخنازير ، ولصبيهم محض وقصص ، حتى يصبح الناس فيقولون : خسف الليلة بنى فلان ، وخسف الليلة بدار فلان خواص ، ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط . على قاتل فيها وعلى دور ، ولترسلن عليهم الریح العقيم التي أهلكت عادا على قاتل فيها وعلى دور ، ترسلهم الخمر ، ولسهم الحرير ، واتخاذهم القبايا . وأكثهم الرب . وفطعتهم الرحم » رواه أحمد وابن أبي الدنيا والبيهقي .

ويزيد الرسول - ﷺ - هذه الأمور تحذيرا فيقول : « من رى أو شرب الخمر : نزع الله منه الإيمان كما ينزع الإنسان القميص من رأسه » .

والذي يتصفح السمة المنهورة وينقب في بطونها يجد من الدعوة إلى الإصلاح والتحذير من المعاصي التي تكون سببا في إزال البلاء والمعيشة الفسك نجد ما جمره وباعوه إلى أن يقف أمام الهدى النبوى سامعا ومطعما وملها ، وشاكرا لرسول الله - ﷺ - فضله . وهذا حديث عندما قرأته شعرت كأنني أغفو وأرواح كالطير يمشى من الألم وهو مذبح . قال رسول الله - ﷺ - « إذا استعجلت أمي خمساً فعلبيها الدمار :

إذا ظهر الملاحن ، وشربوا الخمر ، ولبسوا الحرير ، واتخذوا القبايا ، واكفئ الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء .

وفي شرب الخمر تنتج الأضرار الآتية :

- ١ - تنزع من الشارب أنوار الإيمان حين شربه .
- ٢ - استحق لعنة الله وطرده من رحمته .
- ٣ - شربها يدعو إلى جلب المصوم وتضييق الأرواق .
- ٤ - لا يقدم على شربها إلا العاصي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر .
- ٥ - شربها يجر إلى الوقوع في ارتكاب المعاصي كلها .

٦ - يعذب الله الشارب في يوم القيامة .

٧ - حره الله عليه الجنة إذا شربها مستحلاً لها .

٨ - عقاب شارب الخمر كعذاب عبد الصم .

٩ - يحشر يوم القيامة شهيد الخمر .

١٠ - لا يقبل الله منه عبادة أربعين يوماً .

١١ - شارب الخمر يستحق الإهانة والأزدراء والتحقير والخس كما قال الرسول -

ﷺ : « لا تسلموا على شربة الخمر » .

١٢ - شارب الخمر يخل عليه غضب الله ، ولو مات في هذه الحالة حرم من ثواب

الله ورحمته

١٣ - السكران إذا مات على حاله يعذبه الله بسكره ويدق مرارة فعله هـ في

فرد .

١٤ - شرب الخمر إحدى الحفصا المدمرة المائلة المذهية للبروة المضبغة للفس

الجبالة للفسمة .

وكل هذا مندرج تحت قوله تعالى : ﴿ فإن له معيشة ضيكا ﴾ ومن ثم فإن

الرسول - ﷺ - لا نصحه بشئ عن هذه الموبقات . استمع إليه وهو ينصح أفى الدراء فيقول : « لا تشرك بالله شيئاً ، وإن قطعت ، وإن حرقت ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً ، فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الدمة . ولا تشرب الخمر ، فإنها مفتاح كل شر .. » ولد بلغ من حذر الصحابة وخوفهم من أن يقتربوا شيئاً من هذه الأشياء المؤذية إلى جلب غضب الله واستحقاق نزول نقمته - بلغ من حذرهم في هذا حد أن بعضهم كان يسأل الرسول - ﷺ - عن خير لعمله ، وبعضهم يسأله عن شر ليجنبه ، فإذ من لا يعرف الشر أخرى أن يقع فيه .. فهذا اجتماع بين بعض الأصحاب . بعد وفاة الرسول - ﷺ - . ولذا ذكرنا الحديث الذي دار فيه حتى نقف على مدى حرص هذا المجتمع على لطفة بأوسع معارها : بقاء القلب وصدف النفس ، وصدف الجوارح .. وإليك هذه الصورة الحقيقية :

روى سالم بن عبد الله بن أبيه : أن أباه بكر وعمر وأبائهما جلسوا بعد وفاة النبي - ﷺ - فذكروا أعظم الكبائر . فلم يكن عندهم منها غم ، فأرسلوا إلى عبد الله بن عمر أسأله ، فأخبر أن أعظم الكبائر : شرب الخمر ، فأتيتهم فأخبرهم ، فأذنب . ذلك ، ووثقوا إليه جميعاً . حتى أتوه في داره فأخبرهم أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلاً فحيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفسه أو يزني أو يأكل لحم خنزير أو يقتلوه . فاختار الخمر ، وإنه لما شرب الخمر لم يمنع من شئ ، أرادوه منه . » وأن الرسول - ﷺ - قال : « ما من أحد يشرب الخمر فلا تقبل له صلاة أربعين ليلة . ولا يموت وفي مثالبه شيء إلا حرمت بها عليه الجنة . فإن مات في أربعين ليلة : مات ميتة جاهلية ،

وفي هذا المعنى يروى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : « اجنوا أم الحياث ، فإنه كان رجل من كان قبلكم بعيد . ويعزل الناس . فعلقته امرأة فأرسلت إليه محادماً : إنا ندعوك لشهادة ، فدخل ، فطلقت كلها بدخل باباً أغلضته دونه ، حتى إذا أفضى إلى امرأة وضية جالسة وعندها غلام وباطية فيها خمر ، فقامت إنا لم ندعك لشهادة ، ولكن دعوتك لقتل هذا الغلام أو تقع على ، أو تنرب كأننا من خمر ، فإن أثبت صحت بك وضحتك ، قال : فله

رأى أنه لابد له من ذلك قال : اسقني كأساً من الخمر ، فسقته كأساً من الخمر . فقال : زيدني ، فلم نزل حتى وقع عليها ، وقيل النفس .

ويسمى الرسول - ﷺ - في بيانه والارشاده في تطهير المجتمع ، والأخذ بيده إلى  
بر العادة ، وتحذيره من الوقوع في المفاتورات ، فبدل هذا الإنذار الشاهد الحاسم  
فيقول - ﷺ - : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكهم ، ولا ينظر إليهم ،  
ولهم عذاب عظيم : شيخ زان ، ومك كذاب وعائل معسر » ، ويذكر الرسول  
- ﷺ - في بيان هذه الموبقات وأنها تنقص صاحبها عند الله فيقول : « أربعة يهضمهم  
الله : الباع الخلف ، والفقر المختال ، والشيخ الزائل ، والإمام الجائر » .

« وقد حذر الرسول - ﷺ - من إثناء العذاب بالآفة ، ثم يفسخ فوهم ولد الزنا ، فإذا فشا فوهم ولد الزنا ماؤشك أن يعمهم الله بعذاب » رواه أحمد ، وقال أيضا : « إذا ظهر الزنا والرهاب فزجوا أحلوا بأنفسهم عذاب الله » رواه ابن أبي عمير .

وها هو ذا الصحابي الجليل ابن مسعود يقول : « سألت رسول الله - ﷺ - :  
 أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت : إن كنت لمعب ،  
 ثم أي ؟ قال : أن تقول ولدك مخافة أن يطعم مملوك ، قلت : ثم أي ؟ قال : أن تترافى

حبيبة جارية ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ . وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، لَا يَقُولُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بَاطِلٌ . وَلَا يَزْنُونَ . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهَا مُهَانًا ۖ ﴾ [ الفرقان : ٦٨ ] .

[illegible]

صنع معي أخى المسلم إلى هذا القاموس الجامع من دورس غريبة الاجتماعية في  
 صورة استنهاه وجواب ، ليكون الأسلوب أخذك الحاضر للهمة خستير المرامم .. صنع  
 هـ - هـ - وهو يسأل صاحبه : ه أندرون من المفسر ؟ قالوا : المفسر فيها من  
 لا درهم له ولا متاع ، فقال : المفسر من أمي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة ،  
 ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ،  
 فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما  
 عليه ، وأخذ من خطاياهم فطرحته عليه ، ثم طرح في النار ، رواه مسلم والترمذي

وفي حديث جامع آخر يقول - **عليه السلام** - : « يخص ليس من كفارة : الشرك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وبیت مؤمن ، والفرار من الزحف ، ويمين صابرة يقطع بها مالا بغير حق » رواه أحمد .

فإذا استقرأنا أحاديث الرسول - **عليه السلام** - في النكاح الفاسدة التي عميت بها أسوء ، وسودت صبيحت العباد عند الله ، وبنكت الأسرار ، وأنشأت مستور الأمور ، واغترت على الناس كذباً وبهتاناً .. فما هي النتائج التي نستطيع أن نخرج بها من مجموعة هذه الأحاديث ؟

يقول الأستاذ مصطفى محمد عمارة : إنها ست عشرة نتيجة تجررها الغيبة على صاحبها .

- ١ - يرتكب حراماً .
- ٢ - معني ما هو أكثر عقاباً من الربا .
- ٣ - مستصحب لحم أحبه وأسأغه .
- ٤ - لا يمنع صومه .
- ٥ - كأنه كمل ما هو أشد من الخبيثة .
- ٦ - يعذب في النار بأكل التين القدير .
- ٧ - لا يغفر الله له حتى يعفو عنه العتاب .
- ٨ - ينال عقاب الله في قبره .
- ٩ - تذهب أنوار إيمانه .
- ١٠ - يقابل الله بلا حسنة ومحمل بالخطايا .
- ١١ - يستمر عذابه في النار .
- ١٢ - يذوب جسمه حتى يحقق غيته .
- ١٣ - لا يجد لفعاله فدية (أي كفارة) .
- ١٤ - يشرب شرب عرق أهل جهنم .

١٥ - يحبس على فطرة جهنم مدة طويلة .

١٦ - لا ينصره الله ، ولا يساعده دنيا وأخرى .

أعنت يا أخي الأسباب الدنيئة والأغراض الخفية ، التي تدفع صاحبها إلى الغيبة ؟  
يجيب على هذا السؤال حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله فيقول :  
اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أحاك بما يكره لو بلغه : سواء ذكرته بنفس في بدنه ، أو نسيه أو في خلقه ، أو في فعله ، أو في قوله ، أو في دينه . أو في دنياه ، حتى في ثوبه ، وداره ، ودابته .

أما البدن : فكزكرك العيش والحول والقرع ، والقصر ، وسواد ، والصفرة .  
وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكره كيفما كان . وما النسب : فبأن تقول : أوه سفي ، أو حبيس ، أو شيء مما يكرهه كيفهما كان . وأما الحق : فبأن تقول : هو سيء الخلق ، بخيل ، متكبر ، وراء شديد الغضب ، جبان ، عاجز ، ضعيف القلب ، متهور ، وما يجري مجراه ، وأما في أفعاله المتعلقة بالدين ، فكقولك : هو سارق ، أو كذاب ، أو شارب خمر ، أو حائن ، أو ظالم . أو متهاون بالصلاة أو الزكاة ، أو لا يحسن الركوع ، أو السجود ، أو لا يجترز عن المحاسنات ، أو يسئ إلى والديه . أو لا يضع الزكاة موضعها ، أو لا يحسن قسمتها ، أو لا يحرس صومه عن زفث والغيبة والتعرض لأغراض الناس

وأما فعله المتعلق بالدنيا : إنه قبيل الأدب ، متهاون بالناس ، أو لا يرى لأحد عن نفسه حقاً ، أو يرى لنفسه الحق على الناس ، أو أنه كثير الكلام ، وكثير الأكل ، ونؤوم ، ينام في غير وقت النوم ، ويجلس في غير موضعه . ولما في ثوبه ، فكقولك : إنه واسع الكم ، طويل الذيل ، وسخ الثياب .

وذكر الغير ثلاثة أقسام : الغيبة ، والبهتان ، والإفك . فالغيبة : أن تقول ما فيه . والبهتان : أن تقول ما ليس فيه . والإفك : أن تقول ما بلغك .

ثم يستطرد الإمام الغزالي قائلاً : والأسباب الباعثة على الغيبة هي :

- ١ - أن يشفى الغيظ .
- ٢ - موافقة الأقران ، ومجاملة الرفقاء ، ومساعدتهم على الكلام .



٣ - أن يستشعر من إنسان أنه مبعده ، ويطول لسانه عليه ، أو يفتج حاله عند  
عنه أو يشهد عليه بشهادة .

٤ - أن ينتسب إلى شيء ففريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله .

٥ - إرادة التصنع والمباهاة .

٦ - اخسئ : فريد زوال نعمة من هو أحسن منه .

٧ - النعب ، والفزل ، والمطاية ، وفرجية الوقت بالصحة . يذكر عيوب حربه  
فما يصحك الناس على سبيل المحاكاة ، ومنزه النكر والمحب

٨ - السخرية والامتراء والاحتقار له .

وحل حلال له إذ يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ . إِنَّ بَعْضَ  
الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَنُجِبَ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ  
مِمَّا فَرَغْتُمُوهُ . وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَوَّابُ رَّحِيمٌ ﴾ [ المحررات : ١٢ ] .

### ● وقفة اعتبار وعظة ●

وبعد هذا الحشد السوي من الأحاديث الشريفة ، وهذه الإنذارات الحاسمة  
خاططة ، نجد لزاما علينا أن نقول : إن الإعراض عن ذكر الله صبر لنا جليا في  
ناحيين : أمم عصت أنبياءها وكذبت حقا ربها ، وهذا ما ذكرناه في دروس القرآن  
مكرها ، وهو نقص علينا من أنبياء ما قد سبق ، ويقرب جل جلاله في ذلك : ﴿ تِلْكَ  
الْقُرَى نَقِصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِهَا  
كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْكَافِرِينَ . وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ  
عَهْدٍ . وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ .

وربما كان الرسول - ﷺ - ذا ساق لنا هذا الحشد الكبير من الإنذارات  
وتوجيهات من دروس التربية النبوية ، فإنه بين لنا صورة أخرى من صور الإعراض  
عن ذكر الله ، وهي اقتراف التماسي ، وفعل الموبقات . كما ذكر في الأحاديث الشريفة  
سابقة رسول الله - ﷺ - . وكلا الإعراضين في صورته يغير منه بسلام وبهي  
عن الوفوخ به . لأن الإنسان العاقل هو الذي يمتنع عن الماصين من الأمم ، ويأخذ  
من أحداثهم عبرة ودروسا : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ  
فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِّأَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ [ سجدة : ٢٦ ]

وهكذا يستمر الكتاب العزيز في استساج العبر في أحداث أم أدركت في أكفاد  
... واستمعها العذاب عدوها في دمة تاريخ . اسمع في قول الله تعالى تعليقا حل  
محدث ... لوط : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مَا آيَةً بَيْنَهُمْ لِقَوْلِهِمْ يَعْقِلُونَ ﴾ . ثم اسمع التعقيب  
في سورة الشعراء على انقضاء قصتها : ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ  
الْأَلِيمَ ﴾ [ الداريات : ٣٧ ] . وكذلك في سورة [ القمر ] يعقب على ما حدث لقوم  
نوح : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَّدَكُرٍ ﴾ [ القمر : ١٥ ] . ثم اقرأ سورة  
[ الشعراء ] تجد تعقيب القرآن على أحداث الأمم بعدما حل بها ما حل من عقاب الله  
تجد هذه الآية تنادي وتقول : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنْ  
رَبُّكَ لَهِوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ .

ثم إن الإداعة الرمزية لا تنفك تندر وتنتشر : ﴿ الْغَامِرُ أَهْلَ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا

بيننا وهم قائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحي وهم يعلمون أقاموا  
مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . أو لم يبد للذين يرثون الأرض  
من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطيع على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴿  
[ الأعراف : ٩٧ - ١٠٠ ] .

إن الإنسان ابصر وهو يتنقل مع الحوادث في المشهد القرآني الرائع لا يستطيع أن  
يتك قلبه من إحقاق وأعصابه من الرعدة وحواسه من انقشعيرة التي تنابه : أحداث  
جسام ، وعبر عظام ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ [ الفجر : ١٤ ] . ﴿ فكلا أخذنا بذنبه  
فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به  
الأرض ، ومنهم من أغرقنا . وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾  
[ المكيت : ٤٠ ] .

وجل جلال الله إذا يقول : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض  
عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . ونعشره يوم القيامة أعمى ﴾ [ طه :  
١٢٣ - ١٢٤ ] .

وهكذا يكون الصلح مع الله .. هو طريق النجاة .

فإنهم أهدانا لأحسن الأعمال فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت . وثبت قلوبنا على  
الإيمان والإسلام . فبذلك - لإجابة حدير وعلى كل شيء - قدبر وصلى الله على سيدنا محمد  
وعلى آله وصحبه وسلم .

من النتائج المترتبة على الإعراض عن ذكر الله : معسر المرضى يوم القيامة .. كيف .  
نعشر بين الناس ، وماذا يقول ، وبأى شيء يرد عليه .

كانت النتيجة الأولى المترتبة على الإعراض بقوله جل شأنه : ﴿ نقيض له شيطانا  
فهو له قرين ﴾ [ الزخرف : ٣٦ ] ، وجاءت النتيجة الثانية وهي قوله جل شأنه :  
﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ . وما نحن أولاء أمام أخطر النتائج المترتبة على ذلك ، وهي  
موقفه من الحشر يوم يقوم الناس لرب العالمين . ذلك لأن النتائج الماضية كانت في  
دار الدنيا .

أما هذه النتيجة : ففي دار الآخرة التي لا نهاية بعدها ، وفي يوم وصفه الله بأوصاف

تجلى ما القلوب ، وتشتعل من هودا النفوس : ﴿ وانقوا يوما ترجعون فيه إلى الله .  
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ [ سورة : ٢٠١ ] ﴿ فكيف بد  
جمعهم ليوم لا رب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ . ﴿ فكيف  
تقفون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا . السماء منفطر به ، كان وعده مفعولا ﴾  
[ الزمل : ١٧ ] . ﴿ يأتيها الناس انقروا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم  
نرونها نذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس  
سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ﴾ [ الحج : ١ ] .

إنه العظمة الكبرى : ﴿ يوم يتذكر الإنسان ما سعى ﴾ [ النازعات : ٣٥ ] . وروى  
الصباحة : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحته وبنته . لكل امرئ منهم  
يومئذ شأن يغنيه ﴾ [ عبس : ٣٥ ] . وإنه الساعة : ﴿ بل كذبوا بالساعة ، وأعتده  
لن كذب بالساعة سعيرا ﴾ [ الفرقان : ١١ ] . وإنه الحاقة : ﴿ وما أدراك ما  
الحاقة ﴾ [ الحاقة : ٣ ] . وإنه القارعة : ﴿ وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس  
كالفرش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ [ القارعة : ٥ ] . وإنه العاشية  
﴿ هل أتاك حديث العاشية ﴾ [ العاشية : ١ ] . وروى يوم الحسرة : ﴿ وأنذرهم يوم  
الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ [ مرء : ٣١ ] ، وإنه يوم  
البعث : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لنبح في كتاب الله في يوم البعث  
لهذا يوم البعث ﴾ [ الروم : ٥٦ ] ، وإنه يوم الآفة : ﴿ وأنذرهم يوم الآفة إذ  
القلوب لدى الحاجر كاطمين . مالم الظالمين من حميم ولا ضفيع يطاع يعمه خاتنة الأعر  
وما تغلف الصدور ﴾ وإنه اليوم الموعود : ﴿ والنساء ذات البروج ويوم الموعود ﴾  
[ البروج : ١٣ ] ، وإنه اليوم الآخر : ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾  
[ النساء : ٥٩ ] ، وإنه يوم التلاق : ﴿ ليتذر يوم التلاق . يوم هم بارزون . لا يخفى  
عل الله منهم شيء . لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . اليوم تجزى كل نفس ما  
كسبت . لا ظلم اليوم ، إن الله سريع الحساب ﴾ [ غافر : ١٧ ] ، به يوم الوعيد :  
﴿ ونفخ في الصور ، ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد  
كنت في غفلة من هذا ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ [ ق : ٢٢ ] .  
وإنه يوم التناد : ﴿ ويقومون إلى أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مالكم من الله  
من عاصم ، ومن يضل الله فما له من هاد ﴾ [ غافر : ٣٣ ] ، وإنه يوم القيامة

﴿ لا أقسم يوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ [ الفاتحة : ١ - ٢ ] ، وإنه يوم العرض على ربك : ﴿ وعرضوا على ربك صفا . لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ [ الكهف : ٤٨ ] .

أسماء تعددت سمي واحد ، وما ذاك إلا لعظم هوله ، وكبر شأنه ، وحيل حفره . وعظيم ما سحرى فيه .. إنه اليوم الذى سيقف فيه الإنسان أمام محكمة العدل الإلهية الكبرى ، يسأل عما قدمت يداه : ﴿ فوريك لسألين أجمعين . عما كانوا يعملون ﴾ [ الحجر : ٩٢ ، ٩٣ ] ، ولا حجة ولا عذر : ﴿ هذا يوم لا يظفون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ [ المراتل : ٣٥ ، ٣٦ ]

لقد جفت الأقلام ، وطويت الصحف .. إن قلت : لم لم يعلنى إندار هذا اليوم وبذلك الخاكمة ؟ فالإندار تقرأه فى صلواتك . فى كل ركعة ، وفى دأمة الكتاب : ه مالك يوم الدين . فإن قلت : فهل أستطيع أن أحضر اليوم شهودا ؟ كان الجواب : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهن الله دينهم الحق . ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ [ البقرة : ٢٥ ، ٢٥٠ ] . هل أستطيع أن أوكل من يدافع عني ؟ كان الجواب : ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك . كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ [ البقرة : ١٣ ] . [ ١٤ ] . فإن قلت : هل أستطيع أن أستاذف الحكم ؟ كان الجواب : ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه . وهو سريع الحساب ﴾ . ﴿ ما يدل القول لدى وما أما بظلام للعبد ﴾ .

ولسوف نعرض عليكم نماذج من الأسئلة أحضرها لنا نبى الله محمد - ﷺ - لتكون على عهد بها فى الدنيا ﴿ من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خنة ولا شفاعة ﴾ و ﴿ من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ﴾ ، وحتى تستعد بإجابة على هذه الأسئلة وتعمل ما ، سيقول لك الحاكم الأعلى : ه شأبك فى أهلكه ؟ وعمرتك فى أهلكه ؟ ومالك من أين اكتسبته ؟ وفيه أنفقت ؟ وعلمك ماذا صنعت فيه ؟ وسيقول لك الحاكم الأعلى جل فى علاه : عدى مرضت فلم تعدنى ، وتقول : وكيف أعودك وأنت الله رب العالمين ؟ فيقول لك : مرض عدى فلان فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ عدى ! استطعتك فلم تطعمنى . وتقول : وكيف أنعمت وأنت

الله رب العالمين ؟ فيقول لك : استطعتك عدى فلان فلم تطعمه . أما علمت أنك لو أنعمت لوجدت ذلك عدى ؟ عدى ! استطعتك فلم تطعمنى ، فتقول : وكيف أنعمت وأنت الله رب العالمين ؟ فيقول لك مولانا : استطعتك عدى فلان فلم تعده . أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عند ه .

مهمل أحسرت الجواب على هذه الأسئلة !

إن اليوم عمل ولا حساب . وعدا حساب ولا عمل ، وبهذه نصير المصحف عن لعاد سيكون مشهدا . شيئا يخوف وعلا .. مها هو من يأخذ كتاب يمينه يصيح ﴿ هازم أقرأ كتابك ﴾ . وما هو الذى يأخذ الكتاب بشمك يمينه ؟ ﴿ يا لئلى لم أوت كتابك ﴾ ويقول الأول : ﴿ إلى طست أن ملاقي حسابك ﴾ [ الخاقية : ٢٠ ] . ويقول شى : ﴿ ولم أدر ما حسابك ﴾ [ الخاقية : ٢٤ ] . مكره مصير الأول : ﴿ فهو فى عينة راحية . و حة عالية ، فطوفها ذاية . كلوا واشربوا هينا ما أسفده فى الأيام الخالية ﴾ [ الخاقية : ٢٤ ] . ويكون موقف شى ندم ومسرة حيث لا يسمع اليده . ولا يجدى الخسرة : ﴿ ياليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانية . د الخاقية : ٢٥ ] . يكون مصيره : ﴿ عذره فعلوه . ثم احجيم صلوه . ثم ل سنسبه ذراعا سبعون ذراعا فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحضر على طعام المسكين ﴾ [ الخاقية : ٣٤ ]

ثم يأتى العذاب بوعيه : النفاق والجساف : ﴿ فليس له اليوم هاهنا حيم ﴾ [ الخاقية : ٣٥ ] . هذا عذاب النفس . وما أشد وقعه وألمه ولوعته ! إن الفوائد البصير عندما يسمع هذه الآية ، وإن النفس تسيل مرارة لوفعها .. ثم يأتى للعذاب الجسماني ﴿ ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ [ الخاقية : ٣٧ ]

وإن هذه السورة - [ سورة احاقة ] - وأياها الحاشية القاطعة ، الشديدة الفواعل الحاصلة التروجر - تدكرن بموقف عمر رضى الله عنه إذ يقول : أول ما دخل الإسلام فى قلبى سمعت رسول الله - ﷺ - يقرأ من سورة ه الخاقية . ففت فى نفسى إن هذا الكلام كلام شاعر ، فإذا هو بقرأ أسرها ﴿ وما هو بقول شاعر قليلا ما نؤمن ﴾ [ احاقة : ٣٥ ]

## الاعتبار باهوال القيامة

إليك أخى المسلم قول رسول الله - ﷺ - فى موعظة له يحضر من أهله يوم القيامة :

ففى حديث رواه البخارى ومسلم والترمذى والسائى يقول صيرت رضى وسلامه عليه : يا أيها الناس : إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ [ الأنبياء : ١٠٤ ] . ألا وإن أول الحلائل يكسى : إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سبجاء برجال من أمى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب : أصحابى فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتى كنت أنت الرقيب عليهم . وأنت على كل شئ شهيد . إن تعذبهم فأذهبهم فأبهم عبادك . وإن تغفر لهم فأبهم أنت العزيز الحكيم ﴾ [ المائدة : ١١٧ ] ، قال : فيقال لى إني لم يزالوا مرتدين عن أعقابهم منذ فارقتهم !

- ما أهول هذا اليوم ، وما أشد خطره على النفس إذا خالفت وانحرفت .. فهذه أولاء قوم غيروا وبدلوا بعد رسول الله - ﷺ - فلم يسمع بتدبرهم فى هبة المطاف إلا أن فوض الأمر إليه : ﴿ إن تعذبهم فأبهم عبادك . وإن تغفر لهم فأبهم أنت العزيز الحكيم ﴾ [ المائدة : ١١٨ ] .

وتأمل معنى ختام هذه الآية وتذليلها ، وكيف ختمت بالعة والحكمة .. إذ لا يقدر على العذاب إلا العزيز الذى لا يغلب ولا يقهر فإذا ما غفر وعفا : فمغفرته وعفوه لا من طريق العيب ، وإنما هو مقتضى الحكمة الإلهية المطلقة ، فجعل التذليل مذنب لسباق الآية ، فماذا كان جواب الله ؟ قال تعالى : ﴿ هذا اليوم بنفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ووصوا عنه ، ذلك الفوز العظيم ﴾ [ المائدة : ١١٩ ] .

فقلت فى نفسى : إنه قول كاهن ، فسمعتة يقرأ فى آخرها : ﴿ ولا يقول كاهن ، قلبلا ما تذكرون ﴾ [ انعام : ٤٢ ] ، فقلت : إنه قول محمد ، فسمعتة يقرأ ﴿ تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ [ ٤٣ - ٤٧ ] .

وكانت الخيوط الأولى من فجر إسلام الفاروق قد أخذت تملأ أفق قلبه ، وتغزو بأضوائها الآله أعماق نفسه : فيعد أن كان جبار الجاهلية أعز الله به الدعوة فأصبح عملاق الإسلام . إنه القرآن الذى أخرج أمما من ظلمات الجهالة إلى نور العلم ، وهبت به شعوبا من موتها لتقوم سفينة العالم الحائرة فى عضم المحيط إلى بر النجاة . اللهم آت قبرنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها . وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## يا ابن آدم

أنت الذي ولدتك أمك باكيا والناس حولك يضحكون سرورا  
فأعده إلى عمل تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكا سرورا

ماذا يكون موقف المعرض عن ذكر الله إذا جمع بين عسى وعسى البصيرة ؟  
وماذا يكون موقفه من قول الرسول - ﷺ - : « يتحسر الناس يوم القيمة على أصناف ثلاثة : صنف مشاه ، وصنف وكائنا ، وصنف على وجوههم . قيل يا رسول الله ! وكيف يحشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يحشيه على وجوههم ، أما إنهم يتفنون بوجوههم كل حذب وشوك ، رواه الترمذي .  
فأرن بين ما اشتمل عليه هذا الحديث من أصناف الناس ، ثم يادر به تأخذ لنفسك موقف الذين يحشون إلى الرحمن وقد أغرا عجليلين . وجوههم ضرة . إلى ربها ناظرة .  
ومسفرة ضاحكة مستبشرة :

دياك ساعات سراع الزوال وإنما العقبى خلود المآل  
فهل نيع الخلد يا عاقلا وتشتري دنيا التلى والضلال ؟

ثم تصور هذا الموقف من مشاهد يوم القيمة ، والذي يقول فيه رب العزة : « كل نفس بما كسبت رهينة : إلا أصحاب اليمين . في جنات يتساءلون . عن المجرمين . ما سلككم في سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نحول مع الخالفين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين . فما نفعهم شفاعا الشافعين » [ المائدة : ٣٨ - ٤٨ ] .

ثم يعبر عن هذا كله من ترك الصلاة ، وإطعام المساكين ، وما يليه من الخوض مع الخالفين والتكذيب بيوم الدين . يعبر عنه إعراض عن التذكيرة فيقول : « فما لهم عن التذكيرة معرضين » [ المائدة : ٤٩ ] . ثم تأتي العدة المشخصة لتصور الموقف الذي يل هذا فإذا هو مرعب ومؤسف ومحرر : « كأنهم حمر مستمرة . فرت من قسوة » . تصور : مجموعة من الحمر تهر أمام أسد شجاع مقدمه ، ماذا يكون شدة

تفورها ؟ إنه من الشدة بمكان لا يسمي ، فهلا وفنت على هذه الحقائق ؟ هلا كنت من المصلين ، ومن الذين يطعمون المسكين ؟ وهلا احتسبت الخوض مع الخالفين ؟ وهلا صدقت وأبقت بيوم الدين ، وظللت على هذا حتى أتاك الموت والوعد اليقين ؟

إن كنت يا أنسى قد وفيت بكل هذا فقدم الشكر لله وقل : اللهم ما أصبح من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر . وإن كنت مقصرا في أحد هذه الأمور فلا تلومن إلا نفسك ، وادبر بالعمل الصالح كما قال السيد الخليل سيدنا رسول الله - ﷺ - : « امددوا بالأعمال الصالحة بعد هل تنظرون إلا فقرا متسيا ، أو غنى مطفيا ، أو مرضا مفسدا . أو هرما مفسدا . أو موتا مجهزا ، أو الدجال ، فشر غالب ينتظر أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر . وقف عند قول رسول الله - ﷺ - : « أو موتا مجهزا » ، وتصور موت وهو يقف على ابن آدم المسكين انقضاء الساع المقتربة على قريبتها ، ثم يقله بعد الغدا : والضارة ورونة الحياة والتسم في طيب روالحها .. يقله تحت أسف الرى حسامامدا ورفانا سحيقا ، وصعيدا جريزا .. ما هذا أقول ؟

أتيت القبور فادبتها فأبمن العظم والحقير ؟  
وأبمن اللد سلطانا وأبمن المزكى إذا ما افتخر ؟  
والجواب :

تساووا جميعا فما تغير وماتوا جميعا ومات الخير  
تروح وتغدوا بنات الرى فصحو محاسن تلك الصور  
فيا سائل عن أناس مضوا أمالك فيما مضى معتبر ؟

يا الله ! يا الله ! إنه رهيب ! ماذا بعد الموت ؟ القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ! أهذه أعددت الزاد لليلة صبحها يوم القيامة ؟ وهلا استصعرت من رسول الله - ﷺ - حيث يقول : « تجتمعون يوم القيامة فيقال : أين فقراء هذه الأمة ومساكينها ؟ فيقومون ، فيقال لهم : ماذا عملتم ؟ فيقولون : ربنا ابتلينا فقصرنا . ووليت الأموال والسلطان غيرنا ، فيقول الله عز وجل ، صدقم ، قال : فيدخلون الجنة قبل الناس ، وتبقى شدة الحساب على ذوى الأموال والسلطان ، قالوا : فأين

## الخاتمة

### بم يكون الصلح مع الله ؟

أردت أن أختتم هذه الصفحات التي اشتملت على هذه الموضوعات بهذه الخاتمة  
سائلاً الله أن يجعلها مسكناً ، وأن يحري نبينا محمداً - ﷺ - ع حير ما جرى  
نبياً عن أمته .. فهو الذي عرفنا الطريق إلى الله ، وبصرنا بسلوك خير أنساق ، ورسم  
أمامنا الطريق المستقيم ، وهو أقرب صلة بيننا وبين تفتيح ..

يا رسول الله :

أنت الذي لما رفعت إلى السما	بك قد سميت وتريت لسرا
أنت الذي ناداك ربك مرحباً	ولقد دعاك لقربه وحبك
وخفضت دين الشرك يا علم الهدى	ورفعت دينك فاستضاء هناك
ماذا يقول المادحون وما عسى	أن تجمع الكتاب من معضك
صل عليك الله يا علم الهدى	ما اشتاق مشتاق إلى مشواك

بم يكون الصلح مع الله ؟

الصلح مع الله يكون بالعمل ، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله . فكتاب والسنة  
أستاذان جليلان في جامعة الإسلام العظمى ، وقد اشتمل كل منهما على أحكام الله ،  
وعلى وعده ووعدته ، وأمره ونهيه ، وقصص السابقين ، وآيات العفيدة ، وغير ذلك  
من الحقائق العلمية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية معاً .  
يضمن للبشرية سعادتها ورفقها ، ولذلك أحببت أن أذكر طرفاً مما قاله سيد البشرية  
رسول الله - ﷺ - في شأن القرآن العظيم والعصم به . وإذا كان رسول الله  
- ﷺ - يعظم القرآن ويحمله ، فإن القرآن - بدوره - يأمرنا بتباع رسول الله  
- ﷺ - وعنده .. قال جل شأنه : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يحببكم الله  
ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ من يطع الرسول فقد  
أطاع الله ﴾ .

المؤمنون يومئذ ، قال : توضع لهم كراسي من نور ، وبطلال عليهم العمام ، يكون ذلك  
اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار .

هلا أعدت الزاد ليوم يقول الله فيه : « أين المتحابون بجلال ، اليوم أظلمهم بظل  
يوم لا ظل إلا ظل » ، ١٩ هلا أعد الزاد ليوم يقول الله فيه : « أين أهل الفضل ؟  
فيقومون - وهم يسر - فيقال لهم : ادخلوا الجنة سراعاً ، فيقول لهم الخلاق : لم  
تسرعوا إلى دخول الجنة ؟ فيقولون لهم : لأننا أهل الفضل ، فيقول الخلاق : وما  
فضلكم ؟ فيقولون : كنا إذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسيء إلينا حلمنا ، فيقال لهم :  
ادخلوا الجنة ، فنعيم أجر العاملين ؟! » .

إن الخوف من القيام بين يدي الله في الحاسب رب في النفوس شدة الرقابة لربهم  
فخشيت أن تقترف معاصيه ، وجعلت رقابة الله خير وازع يمنعها من الوقوع فيما  
يقتضيه ، ويوم تسمى النفوس هذا اليوم وما فيه وما سيحري في ساحت .. فإنها تضل  
وتشتت .. أو ما سمعت إلى هذا المشهد القرآني يلقى باللائمة على قوم عصوا الله ،  
لأنهم نسوا هذا اليوم ؟ قال جل شأنه : ﴿ ويل للمطففين - الذين إذا اكثالوا على  
الناس يتوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون  
ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ [ المطففين : ١ - ٦ ] .

قم في الدجى واضرع إليه وناده يا عالماً بعباده وخبراً  
قم في الدجى واضرع إليه وناده يا عالماً بعباده وخبراً  
إن لم أكن أهلاً لعلمك : سيدي فلقد عرفتك سائراً وغفورا

إن الله يسطر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويسطر يده بالنهار ليتوب مسيء  
الليل . إلهي : إن لم أكن أهلاً لبلوغ رحمتك ، فإن رحمتك أهل لأن تبلغني ، فأنت  
القاتل : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [ الأعراف : ١٥٦ ] ، وأنا شيء ، فلنستغنى  
رحمتك .. إن باب الله يقبل المطرودين ويغفر عن المذنبين . فأين طريق النجاة ؟ الصلح  
مع الله هو طريق النجاة .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وقال عز من قائل : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، وانظروا  
الله إن الله شديد العقاب ﴾ .

اسمع إلى سيدنا رسول الله - ﷺ - بين غير الناس فيقول : « خيركم من تعلم  
القرآن وعلمه » .. ثم اسمع إلى فضل تلاوة هذا الكتاب وما أعدّه الله لتاليه من الأجر  
العظيم : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول  
(آلم) حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « من استمع إلى آية من كتاب الله كحبت له حسنة  
مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة » .

ثم اعجب لهذا الفضل العظيم الذي اختص الله به من شغل بالقرآن عن مسألة الله ..  
يقول - عليه الصلاة والسلام - : « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن  
مسأئني أعطيته أفضل ما أعطى السائلين : وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل  
الله على خلقه » .

ثم انظر إلى فضل الله تعالى وكيف أعطى المتنع بالقرآن الذي تشق عليه القراءة  
أخطاه أجراً ، إذ أن الثواب على قدر المشقة . قال رسول الله - ﷺ - : « الماهر  
بالقرآن مع السفرة الكرام البررة . والذي يقرأ القرآن ويتبع فيه وهو عليه شاق :  
له أجران » .

وقد قال أبو ذر لرسول الله - ﷺ - : أوصني ، قال : « عليك بتقوى الله فإنها  
رأس الأمر كله » ، فقلت : يا رسول الله ردي ، قال : « عليك بتلاوة القرآن فإنه  
نور لك في الأرض وذاخر لك في السماء » .

فاللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء مساوذهاب حزننا .  
والحمد لله أولاً وآخراً . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فضيلة الشيخ / عبد الحميد كشك

## الفهرس

### الموضوع

### الصفحة

مقدمة

طريق النجاة

القرآن العظيم وأثره في انقصر

القانون الإلهي العادل

صحف إبراهيم عليه السلام

طريق المسلمين الأوائل

أثر العقيدة في حياة المسلم

بهذه الروح انتصر المسلمون

القرآن يحذر من الحراف القوي النفسية

القرآن طريق العصمة من خطوات الشيطان

القرآن وأثره في سلوك المسلم

القرآن وأثره في تربية الأخلاق

عواقب الإعراض عن ذكر الله

توجيهات ربانية

من أعرض عن الله سلك طريق الشيطان

الهداية الربانية لا تستعصى على من أرادها

مسالك الشيطان وأغوائه

وقفه اعتبار وعظة

الاعتبار بأهوال القيامة

ما ابن آدم

الخاتمة ( به يكون الصلح مع الله ؟ )

الفهرس